مَوْقِفُ الْوَاحِدِيِّ (ت ٤٦٨هـ)
مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ دُوسْتَ (ت ٤٣١هـ)
شِعْرَ الْمُتَنَبِّي
"دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ"

بقلم الدكتور

أحمد محمود محمد صبري الجبه

مدرس الأدب والنقد

في كلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر

موقف الواحديِّ (ت ٤٦٨ه) من تفسير ابن دُوسْتَ (ت ٤٣١ه) شِعْرَ المتنبي "دراسة وصفيَّة نقديَّة"

أحمد محمود محمد صبري الجبه
مدرس الأدب والنقد في جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية (القاهرة)
البريد الإلكتروني: abuhozaifa2282@gmail.com

ملخص البحث: من جملة شروح ديوان المتنبي التي ذكرها البديعيُّ في كتابه (الصبح المنبي عن حيثيَّة المتنبي) كتابٌ لعبد الرحمن بن دُوسْت النيسابوريِّ، وليس لهذا الكتاب أثرٌ حتى الآن، لكني وقفتُ على عددٍ من تفسيراته ورواياته لشعر المتنبي في (شرح الواحديِّ لديوان المتنبي) بلغت ستة عشر موضعًا، واستوقفني موقفٌ للواحديِّ من هذا الرجل؛ إذ كان لا يذكره إلا في مَوْطِنِ التجهيل والتسفيه، مع أنَّ بعض كتب التراجم ذكرت أنَّ ابن دُوسْتَ كان أستاذًا للواحديِّ، فعزمتُ على أنْ أجمعَ هذه الآراء، وأُجَلِّيَ موقف الواحديِّ منها، وأستبين الحقيقة فيما ادَّعَاه.

انتهجتُ فيها المنهجَ الإحصائيَّ والوصفيَّ والنقديَّ. وجاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث: المبحث الأول: موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ اللغويِّ. المبحث الثاني: موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ للمعاني. المبحث الثالث: موقف الواحديِّ من روايات ابن دُوسْتَ.

ثم تأتي الخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الواحديّ – موقفه – شرح الديوان – ابن دُوسْتَ – شعر المتنبي.

Al-Wahedy's point of view (468 H) from Ibn Dost's interperation (431 H) of AL-Mutanabbi's poetry "critical descriptive study"

Prof. Ahmad Mahmoud Mohammad Sabry Al-Gobba
Teacher of literature and criticism at Al-Azhar University
Faculty of Arabic Language (Cairo)
Email: Abuhozaifa2282@gmail.com

Abstract: From the total explanations of Al-Mutanabbi's Diwan, which mentioned by Al-Badeeie in his book (As-sobh almonbi a'n hithiat Al-Mutanabbi) by Abdelrahman Bin Dost Al-nishapuri, this book is still missing till now, but I stood on many of his interpretations and narrations of Al-Mutanabbi's poetry in (Al-Wahedy's explanation of Al-Mutanabbi's Diwan) that reached to sixteen positions and I was stopped on Al-Wahedy's situation against Bin Dost; as he was never mentioning him except in positions of ignorance and spoof, while some interpretation books had mentioned that Ibn Dost was Al-Wahedy's teacher. That's why I decided to collect these opinions and illustrate Al-wahedy's point of view, trying to extract the fact of what he assumed.

I adopted the statistical, critical and descriptive approach. The study came in an introduction and a preamble, then three sections: **The first section:** Al-Wahedy's point of view from Ibn Dost's linguistic explanation. **The second section:** Al-Wahedy's point of view from Ibn Dost's explanation of the meanings. **The third section:** Al-Wahedy's point of view from Ibn Dost's narrations.

Then conclusion comes, list of sources and references and topics index.

Key words: Al wahedy - Diwan interpretation - his views - Ibn Dost – Almutanabbi's poetry.

المقدمة

الحمدُ لله الَّذِي خَلَقَ الإنسانَ فَهَدَى، وَشَرَّفَهُ بِالنُّطْقِ والإدراكِ ولم يُتْرَكْ سُدًى، رَفَعَ طبقاتِ الأبرارِ وَوَضَعَ منزلةَ مَنْ طَغَى وَاعْتَدَى.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على أفضلِ مَنْ جَاءَ بالحقِّ والْهُدَى، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ نُجُومِ الْفَلاحِ وَالِاهْتِدَا.

وبعد:

فالمتنبِّي مَالِئُ الدنيا وشَاغِلُ الناس، ولا نكاد نعرف ديوانَ شعر في الجاهلية أو في الإسلام حظي بتلك الشروح التي شُرِحَ بها ديوانه، وقد ذكر البديعيُّ أنَّ العلماء انتدبوا لديوان المتنبي، وشرحوه شروحًا كثيرة؛ فمنهم من تكلَّمَ على ديوانه أجمعَ، ومنهم من تكلَّمَ على بعضه، ثم عدَّد علماءَ فَعَلُوا ذلك بدءًا من ابن جني، ثم أبي العلاء المعريِّ، والواحديِّ، والتبريزيِّ ... وغيرهم(١)؛ ممن وَصَلَنَا شَرْحُهُ، أو سَمِعْنَا به ولم يَصِلْنَا، أو لم نَسْمَعْ به.

ومِنْ جملةِ مَا ذكره البديعيُّ من شروح لديوان المتنبي كتابٌ لعبد الرحمن بن دُوسْتَ النيسابوريِّ، وقد بحثتُ عن هذا الكتاب في فهارس المكتبات، وفهارس المخطوطات، فلم أقف له على أثر.

وحين كنت أتصفَّح شرح الواحديِّ لديوان المتنبي وقفتُ على بعض آرائه، واستوقفني موقفٌ للواحديِّ من شروحه ورواياته يختلف تمام الاختلاف عن آخرين ذكرهم الواحديُّ في شرحه كأستاذه أبي الفضل العروضيِّ؛ إذ أَلْفَيْتُهُ

(١) ينظر: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ص٢٦٨، ٢٦٩.
هذا؛ والمصادر والمراجع المذكورة في هوامش البحث هي المثبتة في قائمة المصادر والمراجع؛ ولذا اكتفيتُ بذكر البيانات كاملة هناك في تلك القائمة.

لا يَذْكُرُ ابْنَ دُوسْتَ إلا في موطن التجهيل والتسفيه، مع أنَّ بعضَ كتبِ التراجم ذكرتْ أنَّ ابنَ دُوسْتَ كان أستاذًا للواحديِّ، فعزمتُ على أنْ أجمعَ هذه الآراءَ التي لم أَجِدْهَا في كتابٍ غير شرح الواحديِّ، اللهمَّ إلا ما كان من صاحب (التبيان في شرح الديوان) الذي نقل عن الواحديِّ، وأُجَلِّيَ موقف الواحديِّ منها، وأستبين الحقيقة فيما ادَّعَاهُ، فكان هذا البحثُ بعنوان: **(موقفُ الواحديِّ (ت ٤٦٨هـ) من تفسيرِ ابنِ دُوسْتَ (ت ٤٣١هـ) شعرَ المتنبِّي – دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ)**.

وقد قمتُ بإحصاء المواضع التي أدلى فيها ابن دُوسْتَ بدلوه في شعر المتنبي، فوجدتُها ستةَ عشرَ موضعًا، إضافةً إلى موضعٍ ذَكَرَ فيه الواحديُّ أنَّ ابن دُوسْتَ لم يَعْرِفْ معنى البيت ألبتة وكثيرًا من أبيات الديوان.

ثم درستُ تلك المواضعَ بذكر بيت المتنبي، ونقل كلام الواحديِّ، ثم التعليق عليه بعد النظرِ إلى المعنى المعجميِّ أو السياقيِّ، والاطِّلاعِ على ما قاله غيرُهما من شُرَّاح الديوان، وبيان أيِّ الرأيين أقرب إلى مُراد أبي الطيب.

وعليه؛ أكون قد اعتمدتُ المنهجَ الإحصائيَّ، والوصفيَّ، والنقديَّ.

وقد اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

– مقدِّمة: تناولتُ فيها قيمة البحث، ومنهجه، وخطته.

– تمهيد: ترجمتُ فيه لِلْعَلَمَيْنِ (ابن دُوسْتَ والواحديِّ)، ثم بيَّنْتُ عَلاقة الثاني بالأول.

المبحث الأول: موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ اللغويِّ.

المبحث الثاني: موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ للمعاني.

المبحث الثالث: موقف الواحديِّ من روايات ابن دُوسْتَ.

– خاتمة: وفيها بيانٌ بأهمِّ النتائج التي توصلتُ إليها.

– قائمةٌ بالمصادر والمراجع.

وكُلِّي أَمَلٌ أَنْ أَكُونَ وُفِّقْتُ في دراسة هذه المواضع كما آمُلُ، والنظرِ إليها بعين الإنصاف، وتقديمِ جُزْءٍ من كتابٍ مفقودٍ يكون حلقةً في سلسلة الدراسات التي قامت حول شعر المتنبي، والله الموفِّق، وعليه التُّكلان، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوكيل.

التمهيد

أَوَّلًا- تَرْجَمَةُ ابْنِ دُوسْتَ[١]:

اسْمُهُ وَلَقَبُهُ وَكُنْيَتُهُ:

هُوَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو سَعْدٍ الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ، الْإِمَامُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ دُوسْتَ.

وَدُوسْتُ لقبُ جَدِّهِ محمدِ بنِ عزيزٍ. وَدُوسْتُ: "بِالْفَارِسِيَّةِ مَعْنَاهُ: الْمُحِبُّ وَالصَّدِيقُ"[٢].

كُنْيَتُهُ في معظم كتب الأدب والتراجم "أَبُو سَعْدٍ"، وفي بعضها "أَبُو سَعِيدٍ"، وهذه الأخيرة هي التي ذكرها الواحدي[٣].

مَوْلِدُهُ وَوَفَاتُهُ:

وُلِدَ سنةَ سبع وخمسين وثلاثمائة، وَتُوُفِّيَ في ذي الْقَعْدَةِ سنةَ إحدى وثلاثين وأربعمائة، وله أربع وسبعون سنة.

فَضْلُهُ:

---

(١) تنظر في: يتيمة الدهر للثعالبي ٤/ ٤٩١، ودُمية القصر وعُصرة أهل العصر للباخرزي ٢/ ٩٧٠، والمنتخب من السياق لتاريخ نيسابور لإبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني: ص٣٠٩، وإنباه الرواة للقفطي ٢/ ١٦٧، وسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ١٧/ ٥٠٩، وتاريخ الإسلام له أيضًا ٩/ ٥٠٦، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/ ٢٩٧، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٥١، وتاج التراجم لابن قطلوبغا: ١٨٧، وبغية الوعاة للسيوطي ٢/ ٨٩، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة ٢/٢٦٥، وإتحاف المرتقي بتراجم شيوخ البيهقي لمحمود بن عبد الفتاح النحال: ص٢٣٦، والسلسبيل النقي في تراجم شيوخ البيهقي لنايف بن صلاح بن علي المنصوري: ص٤١٤.

(٢) تاج العروس، مادة (دست).

(٣) شرح ديوان المتنبي للواحدي ١/ ٣٠٥.

أحدُ أَعْيَانِ الْفُضَلَاءِ بِنَيْسَابُورَ وأَفْرَادِهِمْ، يَجْمَعُ من الفقهِ والأدبِ بين التَّمْرِ وَالرُّطَبِ، ومن النَّظْمِ والنَّثْرِ بين الياقوتِ والدُّرِّ.

قال عنه أَبُو الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ (ت ٤٦٧هـ): "ليس الآن بخراسانَ أدبٌ مسموعٌ إلا وهو منسوبٌ إليه، مُتَّفَقٌ بالإجماع عليه، وكان أصمَّ أصلخَ[١]، يَضَعُ الْكِتَابَ في حِجْرِهِ وَيُؤَدِّيهِ بِلَفْظِهِ، فَيُسْمِعُ ولا يَسْمَعُ، كَالْمِسَنِّ يَشْحَذُ وَلَا يَقْطَعُ. وكان وَالِدِي – رحمه الله – من المُخْتَلِفِينَ إِلَيْهِ، والمُغْتَرِفِينَ مِمَّا لَدَيْهِ، والمُخْتَرِفِينَ[٢] لثمار أغصانِ بنانِ يَدَيْهِ. ورأيتُهُ أنا وقد طوى العمرَ ومراحلَهُ، وبلغ من الكِبَرِ سَاحِلَهُ. ولم أَتَزَوَّدْ منه إلا الاكتحالَ بِطَلْعَتِهِ، وكأنَّ فِضَّةَ نَاظِرِي بعدُ منقوشةٌ بِصُورَتِهِ"[٣].

كان زاهدًا وَرِعًا فاضلًا. أَقْرَأَ الناسَ الأدبَ والنحوَ، وكان يَقْرَأُ على الْحَاضِرِينَ مَجْلِسَهُ بِنَفْسِهِ، وصنَّف التصانيفَ المُفيدة، وله رَدٌّ على الزَّجَّاجِيِّ فيما استدركه على ابن السِّكِّيت في "إصلاح المنطق" لم يَصِلْ إلينا.

شُيُوخُهُ وَتَلَامِيذُهُ:

كان ابنُ دُوسْتَ كثيرَ المشايخ، فمِمَّنْ حدَّث عنهم: أبو سهلٍ بِشْرُ بنُ أحمدَ بنِ بِشْرٍ الإسفراييِنيُّ (ت ٣٧٠هـ)، وأبو عمرٍو محمدُ بنُ أحمدَ بن حمدانَ الْحِيرِيُّ (ت ٣٧٦هـ)، وأبو أحمدَ محمدُ بنُ محمدِ بن أحمدَ بن إسحاقَ الحاكمُ الكبيرُ النيسابوريُّ (ت ٣٧٨هـ)، وأبو سعيدٍ عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ بن نصيرٍ القرشيُّ (ت ٣٨٢هـ)، والأستاذ أبو بكرٍ محمدُ بن العباسِ الطبريُّ (ت ٣٨٣هـ) – قراءةً –، وأبو نصرٍ إسماعيلُ بن حمادٍ الجوهريُّ صاحبُ "الصِّحاح" (ت ٣٩٣هـ)، وكان أَوْجَهَ من قرأ اللغةَ عليه.

---

(١) الأَصْلَخُ: الذي لا يَسْمَعُ شيئًا ألبتة.

(٢) الْمُخْتَرِفِينَ: الْمُجْتَنِينَ.

(٣) دُمية القصر وعُصرة أهل العصر ٢/ ٩٧٠، ٩٧١.

وأمَّا تلاميذه فأشهرُ مَنْ أَخَذَ عنه: أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسينِ البيهقيُّ (ت ٤٥٨هـ) إنشادًا – أنشد عنه في "الزهد الكبير"[١] و"شعب الإيمان"[٢]، وأبو الحسنِ عليُّ بن أحمدَ بن محمدِ بن عليٍّ النيسابوريُّ الواحديُّ الْمُفَسِّرُ وشارحُ ديوان المتنبي (ت ٤٦٨هـ)، وأبو عبد الله محمدُ ابنُ أبي مسعودٍ عبدِ العزيزِ بنِ محمدٍ الفارسيُّ الهرويُّ (ت ٤٧٢هـ).

شِعْرُهُ:

لابن دُوسْتَ شِعْرٌ كَثِيرُ الْمُلَحِ وَالنُّكَتِ، حَسَنُ الدِّيبَاجَةِ، كأنه يَصْدُرُ عن طباع الْمُفْلِقِينَ من شُعَرَاءِ العراق. ومن نماذجه:

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الظِّبَاءِ فَصَادَنِي ... ظَبْيٌ وَعَهْدِي بِالظِّبَاءِ تُصَادُ
نَفَذَتْ لَوَاحِظُهُ إِلَيَّ بِأَسْهُمٍ ... أَغْرَاضُهَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَجْسَادُ[٣]

وله:

جَعَلْتُ هَدِيَّتِي لَكُمُ سِوَاكًا ... وَلَمْ أَقْصِدْ بِهِ أَحَدًا سِوَاكَا
بَعَثْتُ إِلَيْكَ عُودًا مِنْ أَرَاكٍ ... رَجَاءَ أَنْ أَعُودَ وَأَنْ أَرَاكَا[٤]

وله:

وَشَادِنٍ نَادَمْتُ فِي مَجْلِسٍ ... قَدْ مَطَرَتْ رَاحًا أَبَارِيقُهُ
طَلَبْتُ وَرْدًا فَأَبَى خَدُّهُ ... وَرُمْتُ رَاحًا فَأَبَى رِيقُهُ[٥]

وله:

وَشَادِنٍ قُلْتُ لَهُ: ... هَلْ لَكَ فِي الْمُنَادَمَهْ؟

(١) (ص١٣٠، برقم: ٢٣٦)، (ص٢٥٣، برقم: ٦٦٤، ٦٦٥).
(٢) (١٢/ ٣٩٥، برقم: ٩٦١٨).
(٣) يتيمة الدهر ٤/ ٤٩٢.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

فَقَالَ: رُبَّ عَاشِقٍ ... سَفَكْتُ بِالْمُنَى دَمَهْ[١]

وله:

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي كُتُبٍ ... فَإِنَّ لِلْكُتْبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا
الْمَاءُ يُغْرِقُهَا، وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا ... وَالْفَأْرُ يَخْرِقُهَا، وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا[٢]

وله:

أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي يَجْلُو الدُّجَى ... قُلْ لِنَجْمِي فِي الْهَوَى: كَمْ تَحْتَرِقْ؟
أَنَا مِنْ جُمْلَةِ أَحْرَارِ الْهَوَى ... غَيْرَ أَنِّي مِنْ هَوَاكُمْ تَحْتَ رِقْ[٣]

وله:

لَا تَبْغِ سِرَّكَ غَيْرَ قَلْبِكَ مَوْضِعًا ... فَالسِّرُّ بَيْنَ مُضَيِّعٍ وَمُبَاحِثِ
وَأَعِدَّ صَبْرَكَ لِلنَّوَائِبِ جُنَّةً ... فَالْمَرْءُ رَهْنُ مَصَائِبٍ وَحَوَادِثِ
وَاسْمَحْ بِمَالِكَ فِي الْحُقُوقِ فَإِنَّمَا ... مَالُ الْبَخِيلِ لِحَارِثٍ أَوْ وَارِثِ
وَاحْرُثْ لِنَفْسِكَ حَرْثَ خَيْرٍ إِنَّهُ ... لَا يَحْصُدُ الْمَعْرُوفَ غَيْرُ الْحَارِثِ
لَا يَنْفَعُ التَّدْبِيرُ وَالْحَزْمُ امْرَءًا ... حَتَّى يُعَزِّزَهُ الْقَضَاءُ بِثَالِثِ[٤]

وله:

أَلَا فَارْجُ عَفْوَ اللهِ عَنْ هَفَوَاتِكَا ... وَبَادِرْ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَ فَوَاتِكَا
وَلَا تُمْضِ بِالتَّسْوِيفِ عُمْرَكَ إِنَّنِي ... رَأَيْتُ الْمَنَايَا بِالنُّفُوسِ فَوَاتِكَا[٥]

وله يرثي الشيخ أبا منصور الثعالبيَّ:

كَانَ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعْلَبِي ... أَبْرَعَ فِي الْآدَابِ مِنْ ثَعْلَبِ
لَيْتَ الرَّدَى قَدَّمَنِي قَبْلَهُ ... لَكِنَّهُ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبِ

(١) المصدر نفسه.
(٢) يتيمة الدهر ٤/ ٤٩٣.
(٣) يتيمة الدهر ٤/ ٤٩٤.
(٤) شعب الإيمان للبيهقي ١٢/ ٣٩٤، برقم (٩٦١٨).
(٥) الزهد الكبير للبيهقي: ص٢٥٣، برقم: (٦٦٥).

يَطْعَنُ مَنْ شَاءَ مِنَ النَّاسِ بِالْـ ... مَوْتِ كَطَعْنِ الرُّمْحِ بِالثَّعْلَبِ[١]

وله يُثْنِي على نفسه:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْعُلُومِ بِأَنْقُعٍ ... وَسَقَيْتُ غَيْرِي مِنْ عُلُومِيَ أَنْقَعَا[٢]

وَحَوَيْتُ آدَابًا لَبِسْتُ جَمَالَهَا ... وَبَهَاءَهَا، وَحَلَفْتُ أَلَّا أَنْزَعَا[٣]

(١) دُمية القصر وعُصرة أهل العصر ٢/ ٩٧٢. وثعلب – في قافية البيت الأول –: أبو العباس أحمد بن يحيى، إمام الكوفيين في النحو واللغة. وثعلب – في قافية البيت الثاني –: الحيوان المعروف. والثعلب – في قافية البيت الثالث –: طَرَفُ الرُّمح الداخلُ في جُبَّةِ السِّنان منه.

(٢) أَنْقُعٌ – الأولى–: جَمْعُ نَقْعٍ، وهو مَحْبَسُ الماء، أو مُجْتَمَعُهُ. وَأَنْقَعُ – الثانية –: أقطعُ للعطش.

(٣) دُمية القصر وعُصرة أهل العصر ٢/ ٩٧٢.

ثَانِيًا- تَرْجَمَةُ الْوَاحِدِيِّ[١]:

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ:

هو أبو الحسن عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ مَتُّوَيَهْ، الواحديُّ، النيسابوريُّ.

اشْتَهَرَ بـ (الواحديِّ) نسبةً إلى الواحد بن الديل؛ قال ابن خَلِّكَانَ: "والواحديُّ: بفتح الواو، وبعد الألف حاءٌ مهملةٌ مكسورةٌ، وبعدها دالٌ مهملةٌ، لم أَعْرِفْ هذه النسبةَ إلى أيِّ شيء هي، ولا ذكرها السمعاني، ثم وجدتُ هذه النِّسْبَةَ إلى الواحد بن الديل[٢] بن مَهْرَةَ، ذكره أبو أحمدَ العسكريُّ"[٣].

مَوْلِدُهُ وَوَفَاتُهُ:

لم تُحَدِّدْ المصادرُ التي وقفتُ عليها في الترجمة سنة مولده؛ لكنها أجمعتْ على أنه تُوُفِّيَ سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة في جمادى الآخرة بمدينة نيسابور، عن مرض طويل، ثم إنَّ ابنَ العمادِ الحنبليَّ ذكر أنه كان من أبناء السبعين[٤]، فيكون قد وُلِدَ سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة أو قبلها بقليل.

---

(١) دمية القصر ٢/ ١٠١٧، ومعجم الأدباء لياقوت ٤/ ١٦٥٩، وإنباه الرواة ٢/ ٢٢٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٢/ ١٩٢، ومرآة الجنان لليافعي ٣/ ٧٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/ ٢٤٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥/ ١٠٤، وطبقات المفسرين العشرين للسيوطي ص٧٨، وروضات الجنات ٥/ ٢٤٤.

(٢) في: الْوَفَيَاتِ بتحقيق د. إحسان عباس: (الدين)، وفي: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري، تحقيق: عبد العزيز أحمد: (الدَّثِن)، ص٥٠٦. ورجَّح د. جودة محمد المهدي تحريف هذه الكلمة عن (الديل). ينظر: الواحدي ومنهجه في التفسير، د. جودة محمد محمد المهدي، ص٥٨.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٤.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/ ٢٩٢.

طَلَبُهُ الْعِلْمَ:

نشأ الواحديُّ في مدينةِ نيسابور، مدينةِ العلم والعلماء، وقد تهيَّأت له أسبابُ التحصيل والطلب فيه؛ بسبب ثراء عائلته، وسَعَةِ الرزق فيها؛ حيث كان أبوه تاجرًا، فتلقَّى الفقه والحديث عن كبار مشايخها، ثم تفرَّغ في صباه لتعلُّم النحو والصرف والمعاني واللغة والشعر، وأخذ يتنقَّل في مساجد البلد ومدارسها يتلقَّى عن علمائها القرآنَ والقراءاتِ واختياراتِ الأئمةِ والتفسيرَ وغيرها، ثم شمَّر للرحلات والأسفار في طلب العلم لبلدانٍ عدة، يبحث عن أساطين العلم فيها، فتلقَّى عنهم، حتى صَعُبَ حَصْرُ من تلقَّى عنهم في نيسابور وغيرها لكثرتهم؛ يقول الواحديُّ: "... ولو أثبتُّ المشايخَ الذين أدركتُهم، واقتبستُ عنهم هذا العلمَ، من مشايخ نيسابورَ وسائرِ البلادِ التي وَطِئْتُهَا؛ طَالَ الْخَطْبُ وَمَلَّ النَّاظِرُ "(١).

فَضْلُهُ:

كان الواحديُّ أستاذَ عصره في النحو والتفسير، وقد تصدَّر للتدريس مدةً وَعَظُمَ شَأْنُهُ، فسار الناسُ إلى علمه، واستفادوا من فوائده، وَرُزِقَ السَّعادةَ في تصانيفه، وَأَجْمَعَ النَّاسُ على حُسْنِهَا.

ولن نجد في بيان فضله أصدقَ مِنْ وصف تلميذه عبد الغافر بن إسماعيل، حيث قال: "أستاذُ عَصْرِه، وواحدُ دَهْرِه، أنفق صِبَاهُ وأيامَ شبابِهِ في التحصيل، فأتقنَ الأصولَ على الأئمَّة، وطاف على أعلام الأمَّة، ... وقعد للإفادة والتدريس سِنِين، وتخرَّج به طائفةٌ من الأئمَّة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محلَّ الإفادة، وعاش سنينَ ملحوظًا من النظام وأخيه(٢) بعين الإعزاز والإكرام، وكان حقيقًا بكلِّ احترامٍ وإعظام، لولا ما كان فيه من غَمْزِهِ وإزرائِهِ

(١) التفسير البسيط ١/ ٤٢٥، (مقدمة المؤلف).

(٢) النظام: هو أبو عليٍّ الحسن بن عليِّ بن إسحاق الطوسي، الملقَّبُ بقوام الدين، ونظام المُلك (ت ٤٨٥ه): وزير ألب أرسلان وابنه ملكشاه السلجوقيين. وأخو النظام: هو أبو القاسم عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي (ت ٤٩٩ه).

على الأئمَّة المتقدمين، وبَسْطِهِ اللسانَ فيهم بغير ما يليقُ بمناصبهم، عفا الله عنَّا وعنه"[١].

ووَصَفَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ، فقال: "مُشْتَغِلٌ بِمَا يَعْنِيه، وإنْ كان استهدافُهُ لِلْمُخْتَلِفَةِ إليه يُعَنِّيه، وقد خَبَطَ ما عند أئمة الأدب من أصول كلام الْعَرَب، خَبْطَ عصا الراعي فروع الْغَرَب[٢]، وألقى الدِّلاءَ في بِحارهم حتى نَزَفَهَا[٣]، ومدَّ البَنَانَ إلى ثمارهم إلى أنْ قَطَفَهَا، وله في عِلْمِ القرآن وشَرْحِ غوامضِ الأشعارِ تصنيفات، بِيَدَيْهِ لأعنَّتها تصاريفُ تصريفات"[٤].

وفيه قيل:

قَدْ جُمِعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدِ ... عَالِمِنَا الْمَعْرُوفِ بِالْوَاحِدِي[٥]

شُيُوخُهُ:

كَثُرَ شيوخُ الواحديِّ في نيسابور وغيرها كثرةً جَعَلَتْهُ يقول عنهم: "... ولو أثبتُّ المشايخَ الذين أدركتُهم، واقتبستُ عنهم هذا العلمَ، من مشايخ نيسابورَ وسائرِ البلادِ التي وَطِئْتُهَا؛ طَالَ الْخَطْبُ وَمَلَّ النَّاظِرُ"[٦]. وقد صرَّح الواحديُّ ببعضهم في مقدمة تفسيره "البسيط"، وأشارت كتبُ التراجم إلى آخرين غيرهم، ومن أشهر هؤلاء المشايخ:

١- أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضيُّ المعروف بـ (الصَّفَّار) (٣٣٤-٤١٦هـ)، وعنه أخذ اللغة والأدب.

---

(١) معجم الأدباء ٤/ ١٦٦٠.

(٢) الْغَرَب: شجر.

(٣) نَزَفَها: نَزَحَها وأذهب ماءَها.

(٤) دُمية القصر وعُصرة أهل العصر ٢/ ١٠١٧، ١٠١٨.

(٥) معجم الأدباء ٤/ ١٦٦٠.

(٦) التفسير البسيط ١/ ٤٢٥، (مقدمة المؤلف).

٢- علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله القُهُنْدُزِيُّ، أبو الحسن الضرير النحوي، الأديب، النيسابوري (ت: نحو ٤٢٠)، وعنه أخذ النحو.

٣- عمران بن موسى أبو الحسن المغربيُّ المالكيُّ، وعنه أخذ النحو أيضًا.

٤- أبو القاسم علي بن أحمد البُستي.

٥- أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري.

٦- أبو الحسن علي بن محمد الفارسي، وعن هؤلاء الثلاثة أخذ القرآنَ وقراءاتِ أهل الأمصار واختياراتِ الأئمة.

٧- أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري (ت: ٤٢٧هـ)، صاحب تفسير (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، وعنه أخذ التفسير.

٨- سعيد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو عمر البسطامي، وقد تلقَّى عنه الواحدي في الكُتَّاب.

٩- أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزيادي الفقيه الشافعي، محدِّث نيسابور وفقيهها (٣١٧-٤١٠هـ).

١٠- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز، أبو سعد الحاكم النيسابوري، المعروف بابن دُوسْتَ. وقد نصَّ على مشيخته للواحديِّ الذهبيُّ[١]، وابنُ شاكرٍ الكتبيُّ[٢]، وحاجي خليفة[٣].

مؤلفاته:

من أشهر مصنفات الواحديِّ: "البسيط" في تفسير القرآن الكريم، وكذلك "الوسيط" و"الوجيز"، ومنه أخذ أبو حامد الغزَّاليُّ أسماء كتبه الثلاثة في الفقه،

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥١٠.
(٢) فوات الوفيات ٢/ ٢٩٧.
(٣) سلم الوصول إلى طبقات الفحول ٤/ ٥٠.

وله كتاب "أسباب نزول القرآن"، و"التحبير في شرح أسماء الله تعالى الحسنى"، وكتاب "الدعوات"، وكتاب "المغازي"، وكتاب "الإغراب في الإعراب"، وكتاب "نفي التحريف عن القرآن الشريف"، و"شرح ديوان أبي الطيب المتنبي".

حُبُّهُ لِلْأَدَبِ:

تعلَّم الواحديُّ اللغةَ وأحبَّ الشِّعر على يد شيخه أبي الفضل العروضيّ، وكان شيخَ أهلِ الأدبِ في عصره، والواحديُّ يعدُّ "في طليعة العلماءِ القلائلِ الذين أدركوا منذ شبابهم الباكرِ أنَّ الاقتدارَ على تفسير القرآنِ لا يكونُ إلا بعد التضلُّعِ من علوم اللُّغة، والتمكُّنِ من أدبها، والمعرفةِ بطرائق العربِ في كلامها، وَمَنَازِعِهَا في بَيَانِهَا وَتَبْيِينِهَا. ومن أجل ذلك أقبلَ على تلك العلوم بِجَلَدٍ لا يطوفُ به وهنٌ، ودأبٍ لا يعتريه كلالٌ أو ملالٌ، واستشرافٍ إلى الإلمام بما أَنْتَجَتْهُ قرائحُ الأجيال"(١).

وقد قال الواحديُّ في مقدمة تفسيره «البسيط»: "وَأَظُنُّنِي لم آلُ جهدًا في إحكام أصول هذا العلم، على حَسَبِ ما يليق بزماننا هذا، ويَسَعُهُ سِنُو عمري على قِلَّةِ أعدادها، فقد وَفَّقَ الله تعالى وله الحمد، حتى اقتبستُ كلَّ ما احتجتُ إليه في هذا الباب من مظانِّه، وأخذتُهُ من معادنه. أمَّا (اللغة): فقد دَرَسْتُهَا على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضيّ رحمه الله، وكان قد خَنَّق التسعين في خدمة الأدب، ... وله المصنَّفاتُ الكِبَار، والاستدراكاتُ على الفحولِ من علماء اللغة والنحو. وكنتُ قد لازَمْتُهُ سنين، أَدْخُلُ عليه عند طلوع الشمس، وأخرج لغروبها، أسمع، وأقرأ، وأُعَلِّقُ، وأحفظ، وأبحث، وأُذَاكِرُ أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأتُ عليه الكثيرَ من الدواوينِ وكتبِ اللغة، حتى عاتبني شيخي – رحمه الله – يومًا من الأيام وقال: إنك لم تُبْقِ ديوانًا من الشعر إلا قضيتَ حقَّه، أمَا آنَ لك أنْ تَتَفَرَّغَ لتفسيرِ كتابِ اللهِ العزيزِ؟! تَقْرَؤُهُ على هذا الرجلِ الذي يأتيه البُعَدَاءُ من

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٩، مقدمة المحقق.

أقاصي البلاد، وتَتْرُكُهُ أنتَ على قُرْبِ ما بيننا من الْجِوَارِ، يعني: الأستاذَ الإمامَ (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي) رحمه الله. فقلتُ: يا أبتِ، إنما أتدرَّج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أُحْكِمْ الأدبَ بِجِدٍّ وَتَعَبٍ، لم أَرِمِ في غرض التفسير عن كَثَبٍ، ثم لم أغبَّ زيارتَهُ يومًا من الأيام، إلى أنْ حالَ بيننا قَدَرُ الْحِمَام"(١).

وكان من ثمرة دراسة هذا الأدب والتبحُّر في اللغة شرحُهُ لديوان المتنبي، وهو – كما قال القفطي – "غايةٌ في بابِهِ"(٢)، وقال حاجي خليفة، وقد ذكر عدة شروح للمتنبي: "فأجلُّهَا نفعًا، وأكثرُهَا فائدةً: شرحُ الإمامِ أبي الحسنِ عليّ بن أحمدَ الواحديّ ... ليس في شروحِهِ – مع كَثْرَتِهَا – مثلُه"(٣).

شِعْرُهُ:

ذكرتْ كتبُ التراجم أنَّ الواحديَّ كان شاعرًا، ومن غُرَرِ شِعْرِهِ:

أَيَا قَادِمًا مِنْ طُوسَ أَهْلًا وَمَرْحَبًا ... بَقِيتَ عَلَى الْأَيَّامِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
لَعَمْرِي لَئِنْ أَحْيَا قُدُومُكَ مُدْنَفًا ... بِحُبِّكَ صَبًّا فِي هَوَاكَ مُعَذَّبَا
يَظَلُّ أَسِيرَ الْوَجْدِ نَهْبَ صَبَابَةٍ ... وَيَمْشِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا مُتَقَلِّبَا
فَكَمْ زَفْرَةٍ قَدْ هِجْتَهَا لَوْ زَفَرْتُهَا ... عَلَى سَدِّ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَمْسَى مُذَوَّبَا
وَكَمْ لَوْعَةٍ قَاسَيْتُ يَوْمَ تَرَكْتَنِي ... أُلَاحِظُ مِنْكَ الْبَدْرَ حِينَ تَغَيَّبَا
وَعَادَ النَّهَارُ الطَّلْقُ أَسْوَدَ مُظْلِمًا ... وَعَادَ سَنَا الْإِصْبَاحِ بَعْدَكَ غَيْهَبَا
وَأَصْبَحَ حُسْنُ الصَّبْرِ عَنِّيَ ظَاعِنًا ... وَحَدَّدَ نَحْوِي الْبَيْنُ نَابًا وَمِخْلَبَا
فَأُقْسِمُ لَوْ أَبْصَرْتَ طَرْفِيَ بَاكِيًا ... لَشَاهَدْتَ دَمْعًا بِالدِّمَاءِ مُخَضَّبَا
مَسَالِكُ لَهْوٍ سَدَّهَا الْوَجْدُ وَالْجَوَى ... وَرَوْضُ سُرُورٍ عَادَ بَعْدَكَ مُجْدِبَا

(١) التفسير البسيط للواحدي، ١/ ٤١٧ – ٤١٩، مقدمة المصنف.
(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ٢٢٣.
(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١/ ٨٠٩.

فِدَاؤُكَ رُوحِي يَابْنَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... وَيَا مَنْ فُؤَادِي غَيْرَ حُبِّيهِ قَدْ أَبَى[١]

ومن شعره كذلك:

تَشَوَّهَتِ الدُّنْيَا وَأَبْدَتْ عِوَارَهَا ... وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَهْ
وَأَظْلَمَ فِي عَيْنِي ضِيَاءُ نَهَارِهَا ... لِتَوْدِيعِ مَنْ قَدْ بَانَ عَنِّي بِأَرْبَعَهْ
فُؤَادِي وَعَيْشِي وَالْمَسَرَّةِ وَالْكَرَى ... فَإِنْ عَادَ عَادَ الْكُلُّ وَالْأُنْسُ وَالدَّعَهْ[٢]

(١) معجم الأدباء لياقوت ٤/ ١٦٦١.
(٢) معجم الأدباء ٤/ ١٦٦١.

ثالثًا- علاقة الواحديِّ (ت ٤٦٨هـ) بابن دُوسْتَ (ت ٤٣١هـ):

ابن دُوسْتَ والواحديُّ نيسابوريان، وتقدَّمَ أنَّ بعض كتب التراجم ذكرتْ أن الأولَ أستاذ الثاني، وقد ضمَّن الواحديُّ شرحه لديوان المتنبي ستة عشر رأيًا لابن دُوسْتَ في تفسير شعر المتنبي، غير أنَّ آراءَهُ لم تَجِدْ قبولاً لدى الواحديِّ، بل وجدنا فيها استهزاءً منه، وتصريحًا بقصور نظره، ولعلَّ ابنَ دُوسْتَ كان واحدًا من الذين قال فيهم عبدُ الغافر بن إسماعيل - تلميذُ الواحديِّ - وهو يتحدَّث عن الواحديِّ: "وكان حقيقًا بكلِّ احترامٍ وإعظام، لولا ما كان فيه من غَمْزِهِ وإزرائِهِ على الأئمَّة المتقدمين، وبَسْطِهِ اللسانَ فيهم بغير ما يليقُ بمناصبهم"(١).

ومع أنَّ الواحديَّ ضمَّن شَرْحَهُ آراءَ ابنِ دُوسْتَ، إلا أنه تجاهله في مقدِّمة الشرح وهو يتحدَّث عن أنَّ بعضَ معاني المتنبي خَفِيَتْ على كثير مِمَّنْ رَوَى شعره، فقال: "ولهذا خَفِيَتْ معانيه على أكثرِ مَنْ روى شِعْرَهُ من أكابر الفضلاء والأئمَّة العلماء، حتى الفحول منهم والنُّجباء، كالقاضي أبي الحسن عليِّ بن عبد العزيز الجُرجانيِّ صاحب (كتاب الوساطة)، وأبي الفتح عثمان بن جنِّي النحوي، وأبي العلاء المعرِّي، وأبي علي بن فورَّجة البروجردي، رحمهم الله تعالى ..."(٢).

وتَجَاهَلَهُ مرةً أخرى وهو يُعَدِّدُ أساتذته وشيوخه في سائر العلوم في تفسيره "البسيط".(٣)

ولأننا لم نقف على آراء ابن دُوسْتَ في غير شرح الواحديِّ فإننا مضطرون إلى أن نأخذها كما نقلها الواحديُّ، ثم نحكم بين الرجلين.

---

(١) معجم الأدباء ٤/ ١٦٦٠.

(٢) شرح الواحدي لديوان المتنبي ١/ ٧٩ (مقدمة الشارح).

(٣) التفسير البسيط للواحدي، ١/ ٤١٧ وما بعدها (مقدمة المصنف).

وهذه الآراءُ الستةَ عشرَ وموقفُ الواحديِّ منها نصنِّفها من خلال مباحثَ ثلاثةٍ، هي:

المبحث الأول: موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ اللغويِّ.

المبحث الثاني: موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ للمعاني.

المبحث الثالث: موقف الواحديِّ من روايات ابن دُوسْتَ.

المبحث الأول

موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ اللغويِّ

وأعني به موقفه من تفسيرِ مفردةٍ من المفردات، أو بيانِ معنى حرفٍ، أو كشفٍ لِمَا عاد عليه الضمير، وذلك في أربعة مواضع:

الموضع الأول: قال المتنبي:

أَيَكُونُ الْهِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ ... أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحِ(١)

قال الواحديُّ: "ذكر حاكمنا أبو سعيد بن دُوسْتَ في تفسير هذا البيت أن الهجان جمع هجين، ولم يقل ذلك أحدٌ من أهل اللغة، وإنما جمعوا الهجين هُجُنًا وَهُجَنَاءَ. وَالْهِجَانُ إِنَّمَا يُذْكَرُ فِي خُلُوصِ الْبَيَاضِ والنَّسب، وهو من صفات المدح حيثما اسْتُعْمِلَ؛ يقال: رجل هِجَانٌ، وامرأة هِجَانٌ، وهي الكريمةُ التي لم تُعَرِّقْ فيها الْإِمَاءُ، وأرضٌ هِجَانٌ: إذا كانت تربتها بيضاءَ، وناقة هِجَانٌ: خالصة اللون. وخيار كلِّ شيء هجانه. وأنشد أبو الهيثم:

وَإِذَا قِيلَ: مَنْ هِجَانُ قُرَيْشٍ؟ ... كُنْتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهِجَانُ

ثم أخطأ أيضًا في معنى البيت فقال: أي لا يكون الهجينُ إلا هجينًا، ولا يكون الصريح إلا صريحًا، وإن انتسب إلى غير نسبه. وليس في البيت ذكر الانتساب، ولم ينتسب الصريح إلى غير نسبه، وإنما يفعل ذلك الهجينُ. وكثيرًا ما يخطئ في هذا الديوان. وليس يمكن عدُّ هفواته؛ لكثرتها، وقلة الفائدة في ذكرها، وإنما ذكرنا هذا تعجبًا ودلالةً على أمثاله.

ومعنى البيت: إنَّ الكريم الخالص النسب لا يصيرُ غيرَ كريمٍ وغيرَ خالصِ النَّسب. عَنَى بذلك أنَّ هجو الهاجي لا يؤثر فيه؛ لأنه ذكر في البيت

---

(١) من قطعةٍ عِدَّتُهَا ثلاثةُ أبيات، صدَّرها الواحديُّ بقوله: "وقال لرجلٍ بَلَّغَهُ عن قومٍ كلامًا: ...". انظر: شرح الواحدي لديوان المتنبي ١/ ٣٠٥.

الأول[١] شكايته من السفهاء واللئام، وذكر في هذا البيت أنَّ سَفَهَهُمْ وَبُهْتَهُمْ لا يَقْدَحُ فيه ولا يُغَيِّرُ نَسَبَهُ"[٢].

أقول: إنَّ الهِجَان: الْبِيضُ، وهو أحسن البياض وأعتقه في الإبل والرجال والنساء، وامرأة هِجَانٌ: هي الكريمة الحسب التي لم يُعَرِّق فيها الإماء تعريقًا. ويستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع. والهَجِينُ بخلافه، فهو الذي أبوه عربيٌّ وأُمُّهُ أَمَةٌ، أو هو الذي أبوه خيرٌ من أُمِّه.[٣]

وقولُ الواحديِّ: إنه لم يَقُلْ أحدٌ من أهل اللغة إنَّ الهِجَانَ جمعُ هَجِينٍ هو قولٌ صحيحٌ، فالهِجَانُ – كما سبق – يصلح أن يكون مفردًا مذكرًا أو مؤنثًا أو جمعًا، لكنه ليس جمعَ هجين، وإنما جمعُ هَجِينَةٍ، وقد ذكر أهل اللغة أنَّ جمعَ هَجِينٍ: هُجُنٌ وهُجَنَاءُ وهُجْنَانٌ ومَهَاجِينُ ومَهَاجِنَةُ، وجمعَ هجينةٍ: هُجْنٌ وهَجَائِنُ وهِجَانٌ.[٤]

وعليه؛ فتفسيرُ ابنِ دُوسْتَ الخاطئُ لكلمة الهجان قَادَهُ إلى الخطأ في معنى البيت.

الموضع الثاني: قال المتنبي:

بِهَجْرِ سُيُوفِكَ أَغْمَادَهَا ... تَمَنَّى الطُّلَا أَنْ تَكُونَ الْغُمُودَا[٥]

---

(١) يعني قوله: أَنَا عَيْنُ الْمُسَوَّدِ الْجَحْجَاحِ ... هَيَّجَتْنِي كِلَابُكُمْ بِالنُّبَاحِ

(٢) شرح الواحدي لديوان المتنبي ١/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (هجن، ٦/ ٣٩، ٤٠).

(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، (باب الهاء والجيم والنون، ١٦٩/٤)، والمخصص ٣٣٢/١، واللسان (هجن، ٤٣١/١٣)، وتاج العروس، (هجن، ٢٧٣/٣٦).

(٥) من قصيدةٍ يمدح فيها بدرَ بنَ عمَّارٍ الأسديَّ الطبرستانيَّ، وهو يومئذٍ يتولَّى حرب طبريَّة من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨ه، وأوَّلُها:

أَحُلْمًا نَرَى أَمْ زَمَانًا جَدِيدَا ... أَمِ الْخَلْقُ فِي شَخْصِ حَيٍّ أُعِيدَا

قال الواحدي: "يقول: سيوفك قد هَجَرَتْ أغمادها؛ لأنها أبدًا يُضْرَبُ بها ولا تَرْجِعُ إلى أغمادها، فأعناق أعدائك تتمنَّى أنْ تكونَ أغمادًا لها، فلا تجتمع معها أبدًا.

وغَلِطَ ابن دُوسْتَ في هذا البيت مع وضوحه غلطةً فاحشةً، فقال: يقول: عند سَلِّكَ السيوفَ وتفريقِكَ بينها وبين أغمادها تتمنَّى أعناقُ الناس أنْ تكونَ غمودًا لها فتغمدها فيها حتى يَقِلَّ الضربُ والقتلُ بها. يريد شِدَّةَ حُبِّهِمْ لإغمادها، ولو كان ذلك في أعناقهم. هذا كلامه. وكنتُ أَرْبَأُ به عن مثل هذا الغلط مع تصدُّره في هذا الشأن، ونعوذ بالله من الفضيحة. أَمَا عَلِمَ أنَّ الغمودَ في القافية هي الأغمادُ المذكورةُ في البيت؟ وكيف يُفَسِّرُ قوله: "بهجر سيوفك" بقوله: "عند سَلِّكَ السيوف"؟ ومتى تكون الباء بمعنى عند؟"(١).

أقول: كلام الواحديِّ هو عَيْنُ كلام أبي الفتح بن جني من دون أنْ يُسَمِّيَهُ، قال أبو الفتح: "يقول: سيوفك لا ترجع إلى أغمادها؛ لأنها أبدًا تَضْرِبُ بها أعناق أعدائك، تَمَنَّى الطُّلا أن تكون أغماد سيفك، فلا تجتمع معها أبدًا"(٢)، وهو عينُ كلام ابن وكيع أيضًا، حيث قال: "تفسير هذا الكلام أنَّ سيوفك لا ترجع إلى أغمادها، بل تضرب بها أعناق أعدائك دائمًا، فتتمنى الأعناق أن تكون غمود سيوفك؛ حتى لا تجتمع معها أبدًا"(٣).

ثم انتقد الواحديُّ فَهْمَ ابن دُوسْتَ للغمود في القافية على أنها مصدر، وإنما هي جمعٌ لـ (غِمْد)، مثلها مثل الأغماد في الشطر الأول.

وكذلك انتقد فَهْمَهُ "بِهَجْرِ سُيُوفِكَ" على أنها "عند سَلِّكَ سيوفك"؛ إذ الباء لا تكون بمعنى عند، وإنما هي سببيَّة هنا. وهو مصيبٌ في انتقاده.

---

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٦٣١.

(٢) الفَسْر (شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي)، ت: د. رضا رجب، مج ١، ص٩٧٢.

(٣) المنصف للسارق والمسروق منه، ت: عمر خليفة بن إدريس، ص٦٠١.

فلماذا تهجر السيوف أغمادها؟ ولماذا تتمنى رقاب الأعداء أن تكون أغمادًا لها؟

فأمَّا السؤال الأول فقد أجاب عنه المتنبي في البيت التالي، وهو قوله:

إِلَى الْهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ ... تَرَى صَدَرًا عَنْ وُرُودٍ وُرُودَا

أي: إنها أبدًا صادرةٌ عن هام إلى هام، وصدورها أبدًا ورودٌ إلى هامٍ أخرى؛ لذلك لا تعود إلى أغمادها.

ومن الغريب أنْ يُفَسِّرَ الواحديُّ البيتَ الأخيرَ بمثلِ ما سبق، ثم يقول: "ولم يُفَسِّرْ هذا البيتَ أحدٌ كما فَسَّرْتُهُ"، وهو عينُ كلام أبي الفتح لفظًا ومعنًى(١).

وأمَّا السؤال الثاني فأجاب عنه أبو الفتحِ وابنُ وكيعٍ والواحديُّ بقولهم: "حتى لا تجتمع معها أبدًا"، وأجاب ابنُ دُوسْتَ بقوله: "حتى يَقِلَّ الضربُ والقتلُ بها".

وللشُّرَّاحِ أجوبةٌ أخرى مفيدةٌ، منها:

قال صاحب (معجز أحمد): "يقول: إذا فارقتْ سيوفُكَ الأغماد لا تعود إليها، وتنتقل من هام إلى هام من رقاب أعدائك، فهي تتمنَّى أنْ تكونَ أغمادًا لسيوفك حتى لا تُسيئها ولا تضرَّها. وقيل: أراد أنها تتمنَّى أن تكون غمودًا لسيوفك ومن جملة قتلاك؛ لعلمها أنَّ أعداءك إذا ماتوا بسيوفك كان ذلك فخرًا لهم"(٢).

وقال ابن القطاع: "معنى البيت أنَّ الطُّلى تَمَنَّتْ أنْ تهجر السيوفُ أغمادَها، لأنها إذا فارقت الأغماد لم تَعُدْ إليها، فكأنها تَمَنَّتْ النجاة. وقيل: تمنت الطُّلى الخائفة منك أن تكون تلك الطُّلَى التي صيرتها أغماد السيوف؛

(١) ينظر: الفَسْر (شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي)، مج ١، ص٩٧٢؛ وشرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٦٣١.
(٢) معجز أحمد المنسوب لأبي العلاء المعري، ٢/ ١٢١.

لأنها إذا أغمدتها فيها لم تَعُدْ إليها، فكأنها تمنت أنْ ينعكس الحكم، فتواصل السيوف تلك الطلى التي صارت أغمادها، فتَسْلَم من القتل. وهذا معنًى خفيٌّ جدًّا، يريد التأمُّل."(١)

وقال البرقوقي: "يقول: إنَّ سيوفك لأنها لا تَفْتُرُ عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب – تبقى أبدًا هاجرةً أغمادَها، ومن ثَمَّ تتمنَّى الأعناق أنْ تكونَ أغمادًا لها حتى تنال من الهجر ما نالت الأغماد: أي حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبدًا. وهو معنًى دقيقٌ رائع"(٢).

الموضع الثالث: قال المتنبي:

فَأَنْفَدْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ الْبَقَاءَ ... وَأَبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكْتَ النُّفُودَا(٣)

قال الواحدي: "يقول: أَفْنَيْتَ بقاءَ نفوس الأعداء؛ أي: أَهْلَكْتَهُمْ، وَأَبْقَيْتَ فَنَاءَ المالِ الذي كنت تملكه. والمعنى: إنك أهلكتَ أعداءكَ وفرَّقت أموالك. وقال ابن دُوسْتَ: "من عيشهن" يعني "عيش السيوف"؛ لأنك كَسَرْتَهَا في الرؤوس حتى كأنك قتلتها فماتت. وَغَلِطَ في هذا أيضًا؛ لأنَّ الكناية في

(١) التبيان في شرح الديوان المنسوب لأبي البقاء العكبري (ت: ٦١٦هـ) ١/ ٣٧٠. وقد نسب الدكتور/ مصطفى جواد (التبيان) إلى أبي الحسن ابن عدلان الموصلي (ت: ٦٦٦)، ونسبه صاحب بحث: (التبيان لا للعكبري ولا لابن عدلان) إلى زكي الدين السعدي (ت: ٦٣٩هـ). ينظر: بحث: (التبيان لا للعكبري ولا لابن عدلان) لعبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الهليل، منشور في مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد الثاني، ربيع الآخر – جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/ يوليو – سبتمبر ٢٠٠١م.
وينظر: شرح المشكل من شعر المتنبي لابن القطاع الصقلي، مجلة المورد، دار الحرية للطباعة – بغداد، المجلد السادس، العدد الثالث، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، ص٢٥١.

(٢) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٢/ ٨٩.

(٣) من القصيدة السابقة.

عيشهنَّ تعودُ إلى نفوس العدى لا إلى السيوف. ولم يتقدم لفظ السيوف، إنما تقدَّم ذِكْرُ الحديد في البيت السابق"[١].

أقول: ما قاله الواحديُّ هو عينُ كلام ابن جني، حيث قال: "أي: أنفدتَ بقاءَ نفوس العِدَا، وأبقيتَ نفادَ ما تملكه بسخائك وعطائك"[٢]. وهو معنى ظاهرٌ لا يحتاج إلى مزيد تمعُّن، وقد ذكره غيرُ واحدٍ من شُرَّاح الديوان[٣]، وقد علَّق المهلبيُّ على كلام ابن جني بقوله: "هكذا قال أبو الطيب، فلم تَزِدْ عليه إلا بتكرار اللفظ! وإنما جعل نفاد ما يملكه بقاءً لأجل الذِّكْرِ الذي يبقى له به، والقولِ الذي يُثْنَى به عليه دائمًا"[٤].

والتفسير المذكور ملائمٌ للكناية في البيت الذي قبله:

قَتَلْتَ نُفُوسَ الْعِدَا بِالْحَدِيدِ (م) دِ حَتَّى قَتَلْتَ بِهِنَّ الْحَدِيدَا

فالكناية في (بهن) للنفوس، وهي ما أرادها أبو الطيب في البيتين؛ فيكون قد اتحد عَوْدُ الضميرين المتواليين. والسيوف – كما ذكر الواحديُّ – لم يَرِدْ ذِكْرُهَا في البيت الذي قبله، وهو (قَتَلْتَ نُفُوسَ ... إلخ)، وإنما ورد ذِكْرُهَا فيما قبله (بِهَجْرِ سُيُوفِكَ أَغْمَادَهَا ... إلخ)؛ لذلك رأى الشُّرَّاح أنَّ الكناية في (عيشهن) للنفوس، ولو لم تكن كذلك لقال: (عيشه)؛ أي: الحديد، لكنَّ المتنبي عبَّر هنا بالحديد مجملًا؛ ليدخل فيه السيف وغيره[٥].

وبناءً عليه؛ فإنَّ تفسيرَ ابنِ دُوسْتَ للكناية في (بهنَّ) في هذا البيت غيرُ مُلائمٍ للكناية في البيت الذي قبله، ومُخَالِفٌ لكلام الشُّرَّاح.

---

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٦٣٢.

(٢) الفَسْر (شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي)، مج ١، ص٩٧٣.

(٣) ينظر: معجز أحمد ٢/ ١٢٢، والموضح في شرح شعر المتنبي للتبريزي ٢/ ٢٢٠، والتبيان في شرح الديوان ١/ ٣٧١، وشرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٢/ ٨٩.

(٤) المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي، للمهلبي، ١/ ٧٠.

(٥) ينظر: التبيان في شرح الديوان ١/ ٣٧٠.

الموضع الرابع: قال المتنبي:

وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ ... حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا(١)

قال الواحدي: "الْغُفْرَةُ: الشَّعْرُ المُجتمع على قَفَاهُ. يقول: يَرُدُّ ذلك الشَّعْرَ إلى هامته حتى يجتمع عليها، فيصيرُ ذلك لرأسه كالإكليل. وإنما يَفْعَلُ ذلك غضبًا وتغيُّظًا، يجمعُ قُوَّتَهُ في أعالي بَدَنِهِ. وابنُ دُوسْتَ يقول: الْغُفْرَةُ: شَعْرُ النَّاصِيَةِ. يَعْنِي أَنَّ هذا الأسد يرفع رأسه في مِشْيَتِهِ حتى يَرْتَدَّ شَعْرُ ناصيته إلى أعلى رأسه. والقول هو الأول؛ لأنه بَعْدَ هذا وَصَفَ غيظَ الأسد، فقال:

وَتَظُنُّهُ مِمَّا تُزَمْجِرُ نَفْسُهُ ... عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا"(٢)

أقول: ورد لفظ (غُفْرَتَهُ) في بعض نسخ الديوان بِالْغَيْنِ وفي بعضها بِالْعَيْنِ(٣)، ومن معاني كلا اللفظين الشَّعْرُ كما سيأتي، لكنَّ الواحدي يرى أنَّ الْغُفْرَةَ هي الشعر المجتمع على القفا، وابن دُوسْتَ يرى أنها شعر مقدَّم الرأس، وكلاهما واردٌ في اللغة، ولعلَّ الواحدي نظر إلى قول الجوهري: "والعُفْرَةُ – بِالضَّمِّ –: شَعْرَةُ الْقَفَا من الأسدِ والدِّيكِ وَغَيْرِهِمَا، وهي التي يردُّها إلى يافوخه عند الهِرَاشِ، وكذلك الْعِفْرِيَةُ والْعِفْرَاةُ أيضًا بالكسر فيهما. يقال: جاء فلانٌ نافشًا عِفْرِيَتَهُ، إذا جاءَ غَضْبَانَ"(٤).

---

(١) من قصيدةٍ يذكر فيها خروجَ بَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ إلى أسد، فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسدٍ آخر، فهاجه عن بقرةٍ افترسها بعد أن شبع وثقل، فوثب إلى كفل فرسه، فأعجله عن اسْتلال سيفه، فَضَرَبَهُ بالسوط، ودَارَ بِهِ الْجَيْشَ، أَوَّلُها:

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلَا ... مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولَا

(٢) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٦٧٩، ٦٨٠.

(٣) بِالْغَيْنِ في: ديوانه بتصحيح عبد الوهاب عزام، ص١٣٤، وشرح ديوانه للواحدي ٢/ ٦٧٩، والتبيان في شرح الديوان ٣/ ٢٣٩، والموضح في شعر أبي الطيب المتنبي للتبريزي ٤/ ٣٦٠؛ وبِالْعَيْنِ في: ديوانه بشرح البرقوقي ٣/ ٣٥٦.

(٤) الصحاح، مادة (عفر).

ولعلَّ ابنَ دُوسْتَ نظر إلى قول أبي زيد: "الْعِفْرِيَةُ مِنَ الدَّابَّةِ: شَعْرُ النَّاصِيَةِ، وَمِنَ الْإِنْسَانِ: شَعْرُ الْقَفَا"(١)، وإلى قول أبي الفتح: "الْغُفْرَةُ: شَعْرُ الْمَعْرَفَةِ وَمَا وَالَاهَا"(٢). وَالْمَعْرَفَةُ: الْمَوْضِعُ الذي يَنْبُتُ عليه الْعُرْفُ من النَّاصِيَةِ إلى الْمِنْسَجِ.

وعند أبي عُبَيْدٍ عَكْسُهُ: "الْعِفْرِيَةُ ... مِنَ الْإِنْسَانِ: شَعْرُ النَّاصِيَةِ، وَمِنَ الدَّابَّةِ: شَعْرُ الْقَفَا"(٣).

وهذا كله بِالْعَيْنِ، فأمَّا بِالْغَيْنِ فقد قال ابن منظور: "وَالْغَفَرُ وَالْغَفَارُ وَالْغَفِيرُ: شَعْرُ الْعُنُقِ وَاللَّحْيَيْنِ **وَالْجَبْهَةِ وَالْقَفَا**"(٤).

هذا من حيث المعنى المعجميُّ. وأمَّا من حيث المعنى السِّياقيُّ فقد نظر ابنُ دُوسْتَ إلى أنَّ هذا البيتَ تتميمٌ للبيت الذي قبله في وصف مشية الأسد:

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تِيهِهِ ... فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلَا
وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ ... حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا

أيْ: يرفع رأسه في مِشْيَتِهِ حتى يَرْتَدَّ شَعْرُ ناصيته إلى أعلى رأسه؛ يفعل ذلك تِيهًا.

ونظر الواحديُّ إلى أنَّ هذا البيت مُقَدِّمَةٌ لوصف غضبه المذكور في البيت الذي بعده:

وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ ... حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا
وَتَظُنُّهُ مِمَّا تُزَمْجِرُ نَفْسُهُ ... عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس، باب العين والفاء وما يثلثهما.

(٢) الفَسْر (شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي)، ت: د. رضا رجب، مج ٣، ص١٧٥.

(٣) تهذيب اللغة، باب العين والراء مع الفاء.

(٤) لسان العرب، مادة (غفر).

أيْ: يَرُدُّ ذلك الشَّعْرَ المجتمع على قفاه إلى هامته حتى يجتمع عليها، فيصيرُ ذلك لرأسه كالإكليل؛ يَفْعَلُ ذلك غضبًا وتغيُّظًا، يجمعُ قُوَّتَهُ في أعالي بَدَنِهِ.

وكلا التفسيرين مُتَّجَهٌ، وإن كان قولُ ابنِ دُوسْتَ أقربَ للصَّواب؛ فاليافوخ ليس في مقدَّم الرأس تمامًا، يقول ابن سِيدَهْ: "الْيَافُوخُ: مُلْتَقَى عَظْمِ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ. وَقِيلَ: هُوَ مَا بَيْنَ الْهَامَةِ وَالْجَبْهَةِ"(١)، وإذا كان كذلك فردُّ الشَّعْر من الناصية إلى أعلى الرأس مناسبٌ تمامًا لذكر الإكليل.

(١) المحكم والمحيط الأعظم، باب الخاء والفاء والهمزة.

المبحث الثاني
موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ للمعاني

وذلك في عشرة مواضع:

الموضع الأول: قال المتنبي:

هَذَا الَّذِي خَلَتِ الْقُرُونُ وَذِكْرُهُ ... وَحَدِيثُهُ فِي كُتْبِهَا مَشْرُوحُ(١)

قال الواحدي: "لم يعرف ابن جني البيت فلم يُفَسِّرْهُ(٢)، وفَسَّرَهُ ابنُ دُوسْتَ بخلاف الصواب، فقال: إنَّ الله – تعالى – بشَّر به في كتب الماضين. وهذا كَذِبٌ صريحٌ؛ لأنَّ الله لا يُبَشِّرُ بغير نبيٍّ. أو لم يسمع قول أبي الطيب:

إِلَى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللهُ أُمَّةً ... بِغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَّرَتْنَا بِهِ الرُّسْلُ

والمعنى أنَّ الكتب مشحونةٌ بذكر الكرم ونَعْتِ الكرام وأخلاقهم، وهو المعنيُّ بذلك؛ إذ الحقيقة منها له، فذِكْرُهُ إذن في الكتب مشروح. ويجوز أنْ يريد أنه المهديُّ الذي ذُكر في الكتب خروجُه. ولم يَقُلْ: (مشروحان)؛ لأنَّ الذِّكْرَ والحَدِيثَ وَاحِدٌ"(٣).

أقول: هذا البيت من قصيدة يمدح فيها المتنبي الأميرَ مُسَاوِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ، مطلعها:

جَلَلًا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ ... أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَأِ الْأَغَنِّ الشِّيحُ

وسياق البيت:

لو فُرِّقَ الكرمُ المُفَرِّقُ مَالَهُ ... فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحُ

---

(١) من قصيدةٍ يمدح بها مُسَاوِرَ بنَ محمدٍ الروميَّ، أوَّلُهَا:
جَلَلًا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ ... أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَأِ الْأَغَنِّ الشِّيحُ

(٢) لم يُفَسِّرْ ابن جني في البيت إلا قوله: (خلت)، فقال: "خلت: مضت. قال الله تعالى: "بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ". أي: الماضية". – الفَسْر (شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي)، ت: د. رضا رجب، مج ١، ص٧٤٠.

(٣) شرح الواحدي لديوان المتنبي ١/ ٣٧٩.

أَلْغَتْ مَسَامِعُهُ الْمَلَامَ وَغَادَرَتْ ... سِمَةً عَلَى أَنْفِ اللِّئَامِ تَلُوحُ
هَذَا الَّذِي خَلَتِ الْقُرُونُ وَذِكْرُهُ ... وَحَدِيثُهُ فِي كُتْبِهَا مَشْرُوحُ
أَلْبَابُنَا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ ... وَسَحَابُنَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحُ
يَغْشَى الطِّعَانَ فَلَا يردُّ قَنَاته ... مَكْسُورَةً وَمِنَ الْكُمَاةِ صَحِيحُ

وأرى أنَّ الحديث في هذا البيت ليس عن الكرم؛ فاسم الإشارة والاسم الموصول والضمائر في قوله: (هذا الذي – بجماله – بنواله – يغشى الطِّعان – يردُّ قناته) عائدة على الممدوح، فيترجَّح المعنى الثاني الذي ذكره الواحدي، ويكون الضمير في (وذكره – وحديثه) عائدًا عليه أيضًا، فلعلَّ المتنبي أراد أنَّ الأمير هو المهديُّ. وربما لم يتجاوز ابن دُوسْت هذا المعنى.(١)

قال ابن المستوفي: "لولا أنَّ ابن دُوسْتَ أتى بذكر الله – تعالى – في البشارة لَمَا كان بين قوله وقول الواحدي – الوجه الثاني – فَرْقٌ"(٢).

فهل لذكر الله أو عدم ذكره فرقٌ في المعنى؟ وإذا لم يُذكر فمن يَذْكُرُهُ في الكتب ويُبَشِّرُ به؟

الحقيقة أنَّ هناك فرقًا بين ذكر الله في البشارة وعدم ذكره؛ فالله لا يُبشِّر إلاَّ بنبيٍّ، وأمَّا الكتب الموضوعة فإنها تُخَلِّد ذكرَ إنسانٍ صالحٍ فاضلٍ، حتى

(١) يرى ابن وكيع أن هذا البيت في مدح أمير، فكان الجيد أن يقول المتنبي: (تخلو القرون)، فيكون المعنى: أنه قد سنَّ سننًا أو شيئًا تخلو القرون معها وحديثه في كتبها مشروح لحسنها، وقد أخذ هذا من مروان بن أبي حفصة:

وَلَدْتُمُ خَيْرَ مَهْدِيٍّ وَأَكْرَمَهُ ... مَهْدِيَّنَا الْقَائِمَ الْمَوْصُوفَ فِي الْكُتُبِ

وأنه قصر عن مروان؛ الذي هو أولى بشعره، ويكون مراد المتنبي لو كان قال: (تخلو) مرادَ القائل حيث يقول:

لم يبق شيءٌ من الدنيا تُسَرُّ به ... إلاَّ الدفاترُ فيها الشِّعْرُ والسَّمَرُ
مات الذين لهم فضلٌ ومَكْرُمَةٌ ... وفي الدفاتر من أخبارهم أَثَرُ

ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه، ت: عمر خليفة بن إدريس، ص٧٩٦.

(٢) النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام ٥/ ٢٤٥.

تتحدَّث بفضله الرُّكْبَان، وقد أحسن البرقوقي في تأويل لفظ (خلت) في البيت، بقوله: "المراد بِـ (خَلَتْ) هاهنا: تخلو؛ وأتى بالماضي: للتحقيق – على حدِّ قوله تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللهِ" –. يقول: هذا الذي تمضي القرون والأدهار، ويبقى ذكره، ويخلد في الكتب والأسفار"(١).

الموضع الثاني: قال المتنبي:

إِذَا بَيَّتَ الْأَعْدَاءَ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ ... صَرِيرَ الْعَوَالِي قَبْلَ قَعْقَعَةِ اللُّجْمِ(٢)

قال الواحدي: "قال ابن جني: أي يُبادر إلى أخذ الرمح، فإنْ لَحِقَ إسراجَ فَرَسِهِ فذاك، وإلاَّ ركبه عريًا. وهذا هذيانُ الْمُبَرْسَمِ(٣) وَالنَّائِمِ، وكلامُ مَنْ لم يَعْرِفْ المعنى. يقول: إذا وافاهم ليلاً أخفى تدبيره ومكره وتحفَّظ من أنْ يُفطن به، فيأخذهم على غفلةٍ حتى يسمعوا صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أنْ يسمعوا أصوات اللُّجُمِ متحركةً في أحناك خيله. ولم يعرف ابن دُوسْتَ هذا أيضًا؛ لأنه قال في تفسيره: لأنَّ رماحه تصل إليهم قبل وصول خيله إليهم. وليس يُتصور ما قاله إلاَّ أنْ يأتيهم راجلاً. والمعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا إذا طعنهم برماحه لإخفائه ذلك بلطف تدبيره"(٤).

---

(١) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١/٣٧٥.

(٢) من قصيدته التي يَمْدَحُ بها الْحُسَيْنَ بْنَ إِسْحَاقَ التَّنُوخِيَّ، وأوَّلُها:

مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ ... لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ

(٣) الْمُبَرْسَمُ: الذي به الْبِرْسَام، وهي علة معروفة تُزيل العقل، وهي وَرْمَةٌ تصيب الدِّماغ نفسه، وتتقدَّمها حُمَّى مُطْبِقَةٌ دائمةٌ، مع ثقل الرأس، وحمرة شديدة، وصداع، وكراهية الضوء، فيزول العقل.

– النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، ٢/ ٩٨.

(٤) شرح الواحدي لديوان المتنبي ١/ ٤٣٣.

أقول: ما قاله الواحديُّ جيد، وما قاله ابن دُوسْتَ صحيح أيضًا، فمن الطَّبَعِيّ أن تسبق الرماحُ الخيلَ في المعارك، فَبِهَا يَبْدَأُ القتال. قال ابن دريد: "وأصل الرَّعْفِ: التقدُّم ... وسُمِّيت الرماحُ رواعفَ لأنها تُقَدَّمُ للطعن"(١).

والرماح مختلفة الأطوال؛ وقد ذكر الثعالبيُّ ترتيب العصا وتدريجها إلى الحَرْبَةِ والرُّمْحِ، فقال: "... فإذا طَالَتْ شَيئًا وَفِيها سِنَانٌ دَقِيق فَهِيَ: نَيْزَكٌ(٢)، ومِطْرَد(٣). فإذا زَادَ طُولُها وفِيهَا سِنَان عَرِيضٌ فَهِيَ: أَلَّةٌ(٤)، وَحَرْبَةٌ. فإذا كَانَتْ مُسْتَوِيَةً، نَبَتَتْ كَذَلِكَ، وَلا تَحْتَاجُ إلى تَثْقِيفٍ فَهِيَ: صَعْدَةٌ. فإذا اجْتَمَعَ فِيها الطُّولُ والسِّنَانُ فَهِيَ: قَنَاةٌ ورُمْحٌ"(٥).

والعرب تقول: "رُمْحٌ مَرْبُوعٌ: طُولُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ"(٦)، و"رُمْحٌ مَخْمُوسٌ: طُولُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ"(٧)، وقال حاتمٌ الطائيُّ:

وَأَسْمَرَ خَطِّيًّا كَأَنَّ كُعُوبَهُ ... نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرْمَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ(٨)

أي: بلغ إحدى عشرة ذراعًا. قال المرزوقي: "وصفه بأنه لم يكن طويلاً ولا قصيرًا حتى لا يكون مضطربًا ولا قاصرًا، بل يجري مع الاعتدال"(٩).

---

(١) جمهرة اللغة، (رعف).

(٢) النيزك: رمح قصير، فارسي معرَّب، والجمع: النَّيَازك. – لسان العرب (نزك).

(٣) المِطْرَد: رمح ليس بالطويل يكون مع الفارس يَطْعَنُ به الوحش إذا أراد صيدها، وجمعه: المَطَارِد.

– المنتخب من غريب كلام العرب، لِكُرَاع النمل، ص٤٩٣؛ ولسان العرب (طرد).

(٤) جمعها: أَلٌّ وَإِلَالٌ.

(٥) فقه اللغة وسر العربية ٢/ ٤٢٧؛ وينظر: حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٦) اللسان، (ربع).

(٧) اللسان، (خمس).

(٨) ديوانه، ص٤٦. وأرمى وأربى لغتان، أي: زاد.

(٩) شرح ديوان الحماسة ٤/ ١٧٨٦.

وقال أبو عبيدٍ البكريُّ – بعد أنْ صحَّح نسبة البيت إلى عُتَيْبَةَ بن مِرْدَاس –: "هذا طول أوسط القنا عندهم، وهو المحمود. قال البحتري:

كَالرُّمْحِ أَذْرُعُهُ عَشْرٌ وَوَاحِدَةٌ ... فَمَا اسْتَبَدَّ بِهِ طُولٌ وَلَا قِصَرُ[١]"[٢]

وما ذكره الواحديُّ تعليقًا على كلام ابن دُوسْتَ: "وليس يُتصور ما قاله إلاَّ أنْ يَأْتِيَهُمْ راجلاً" ليس بصحيح؛ إذ الفارس من عُدَّتِهِ الرماح. والعرب تقول: "اسْتَلْأَمَ الرَّجُلُ: إِذَا لَبِسَ مَا عِنْدَهُ مِنْ عُدَّةٍ: رُمْحٍ وَبَيْضَةٍ ومِغْفَرٍ وَسَيْفٍ وَنَبْلٍ"[٣]. وكذلك تقول: "هَتَكَ الْفَارِسُ بِالرُّمْحِ قَلْبَ الرَّجُلِ"[٤]؛ أي: خرقه، "ويُقَالُ لِلْفَارِسِ: أَقْرِنْ رُمْحَكَ: أي ارْفَعْهُ لا تَعْقِرْ به أحدًا"[٥]، و"طعنَ الفارسُ الفارسَ فقطَّره: إذا أَلْقَاهُ على أحد قُطْرَيْه[٦]. قَالَ الشَّاعِر[٧]:

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا ... مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إلاَّ أَنَا

شَكَكْتُ بالرُّمْحِ سَرابيلَهُ ... وَالْخَيْلُ تَعْدُو زِيَمًا[٨] بَيْنَنَا"[٩]

وقال الشاعر: وَهُمْ يَكْسِرُونَ صُدُورَ الرِّمَا ... حِ بِالْخَيْلِ تُطْرَدُ أَوْ طَارِدَهْ[١٠]

وقَالَ تميمُ بْنُ أُبَيِّ بْنُ مُقْبِلٍ:

---

(١) ديوانه ٢/ ٩٥٧.
(٢) سمط اللآلي ٢/ ٦٨٦.
(٣) اللسان، (لأم).
(٤) جمهرة اللغة، (هتك)، ١/ ٤٠٩.
(٥) جمهرة اللغة، (قرن)، ٢/ ٧٩٣.
(٦) هُمَا جَانِبَاهُ.
(٧) هو عمرو بن معدي كرب، والبيتان ضمن أبيات قالها يوم القادسية.
ينظر: شعر عمرو بن معدي كرب، ص١٦٦، ١٦٧.
(٨) أي: مُتَفَرِّقَة.
(٩) جمهرة اللغة، (قطر)، ٢/ ٧٥٨.
(١٠) الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري، ١/ ٣٢٥.

إِذْ ردَّهَا الْخَيْلُ تَعْدُو وَهْيَ خَافِضَةٌ ... حَدَّ النَّبَارِسِ مَطْرُورًا نَوَاحِيهَا[١]

أَيْ: خَافِضَةَ الرِّمَاحِ.

والعرب تقول: "اعْتَقَلَ الْفَارِسُ رُمْحَهُ: وَضَعَهُ بَيْنَ رِكَابِهِ وَسَرْجِهِ"[٢]. "وَرَوْقُ الْفَرَسِ: الرُّمْحُ الَّذِي يَمُدُّهُ الْفَارِسُ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، وَذَلِكَ الْفَرَسُ: أَرْوَقُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَارِسُهُ ذَلِكَ فَهُوَ: أَجَمُّ"[٣].

ثبت إذًا حملُ الفُرسان للرماح، مع اختلاف أطوالها، ومع اختلافهم في طريقة وضعها عند الذهاب للحرب؛ وقد وضع ابن هذيل الأندلسي فصلاً في صفة الركوب بالرمح، وفصلاً في تعليم العمل به، ثم قال: "وأمَّا صفة إمساكه عند اللقاء والطَّعْن به والتخلُّص منه بعد ذلك، فذلك يحتاج إلى بسط وتطويل ومشاهدة بالعِيان أيضًا؛ لكثرة أحواله، واختلاف وجوهه وطرقه"[٤].

وأرى أنَّ ابن دُوسْتَ لم يَبْعَدْ عمَّا قاله الوحيد الأزديُّ – في تعليقاته على الفسر الكبير–، حيث قال: "أراد أنَّ رمحه طويل، فهو يَرِدُ على الأعداء قبل أن يسمعوا صلصلة اللجام"[٥].

الموضع الثالث: قال المتنبي:

يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجُزٌ ... كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ[٦]

---

(١) ديوان ابن مقبل، ص٢٨٩. يقال للسِّنان: نبراس، وجمعه: النَّبَارِس.

(٢) أساس البلاغة، (عقل).

(٣) القاموس المحيط، (روق).

(٤) ينظر: حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص٢٠٦.

(٥) الفَسْر (شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي)، ت: د. رضا رجب، مج ٣، ص٤٧٥، هامش (٦، ٧).

(٦) من قصيدةٍ يمدح بها بَدْرَ بنَ عمَّارٍ، وقد فُصِدَ لعلَّة، فغاص المِبْضَعُ فوق حقِّه، فأضرَّ به ذلك، أوَّلُهَا:

أَبْعَدُ نَأْيِ الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ ... فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلَّفُ الْإِبِلُ

قال الواحدي: "يريد أنَّ عَجُزَهَا ثقيلٌ بكثرة اللحم وهو يَجْذِبُهَا إذا همَّت بالنهوض. هذا معنى قوله: "يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجُزٌ". وقوله: "كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ" أخطأ في تفسير هذا المصراع ابن جني وابن دُوسْتَ. فقال ابن جني: كأنَّ عَجُزَهَا وَجِلٌ من فراقها، فهو متساقطٌ مُتَجَدِّلٌ(١)، قد ذهبت مُنَّتُهُ(٢) وتماسُكه. هذا كلامه، ولم يَعْرِفْ وجه تشبيه العَجُزِ بِالْوَجِلِ مِنْ فراقها، ففسَّره بهذا التفسير. وإنما يصير العَجُزُ بالصِّفة التي وصفها عند الموت. وما دامت الحياة باقيةً، لا يصير العَجُزُ متساقطًا ذاهبَ المُنَّة. وقال ابن دُوسْتَ: عَجُزُهَا يَجْذِبُهَا إِلَى الْقُعُودِ لِأَنَّهُ خَائِفٌ مِنْ فِرَاقِهَا فَيُقْعِدُهَا بِالْأَرْضِ. وهذا أفسدُ ممَّا قاله ابن جني. ومتى وُصِفَ العَجُزُ بالخوف مِنْ فراق صاحبه؟ وأين رأى ذلك؟ ولكنه أراد وصف عَجُزِهَا بكثرة اللحم، وتحرُّك اللحم عليه لكثرته، فشبَّهه بارتعاده واضطرابه بخائفٍ من فراقها. والخائفُ يُوصَفُ بالارتعاد. وكذلك العَجُزُ إذا كثر لحمه، كما قال: "إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجَا"(٣)، فهما يتشابهان من هذا الوجه. والتقدير: كأنه إنسانٌ وَجِلٌ أو شيءٌ وَجِلٌ من فراقها.

---

(١) هكذا في مطبوعة شرح الواحدي. وفي مخطوطة شرح ديوان المتنبي للواحدي بجامعة الملك سعود، برقم (٣٦٩٧)، ورقة (٨٤/ أ): مُنْخَذِلٌ، وفي الجزء الأول من شرح ديوان المتنبي للواحدي، مخطوطة جامعة برنستون بأمريكا، ورقة (١٠٣/ ب): مُنْخَدِلٌ. وفي الفسر الكبير ٣/ ١٣٥: منخزل.

وفي اللغة: مُتَجَدِّلٌ: مصروع على الجَدَالَةِ، أي: الأرض، ومُنْخَذِلٌ: متروك نصرته، ومُنْخَدِلٌ: لم أقف على من استعمل هذه الصيغة في العربية، وإن كان الأصل في الخدل: الضخامة والامتلاء، ومُنْخَزِلٌ: مُتثاقل، مكسور، منقطع، ضعيف. ولذا أرى أنَّ هناك تصحيفًا في الكلمة، وأنَّ لفظي (منخذل) و(منخزل) أقربُ إلى المعنى المراد من اللفظين الآخرين.

وفي المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي للمهلبي ١/ ٢٣٥، ٥/ ١٠٩: مُتَحَرِّكٌ. ورجَّحها مُحقق الكتاب.

(٢) مُنَّتُهُ: قُوَّتُهُ.

(٣) وعجزه: لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعَا.

وأراد: كأنَّ الْعَجُزَ في اضطراب لحمه خائفٌ من فراقها؛ فلذلك ارتعد. والوَجِلُ على هذا هو العَجُزُ لا غيره. وليس الجذبُ بسبب الوَجَلِ كما ذكره ابنُ دُوسْتَ"[١].

أقول:

١- الشطر الأول مأخوذ من قول البحتري:

يَجْذِبُهُ الثِّقْلُ حِينَ يَنْهَضُ مِنْ ... وَرَائِهِ وَالْخُفُوفُ مِنْ أَمَمِهْ[٢]

٢- هذا البيت – كما قال ابن جني – نَسِيبُ[٣] الذي قبله، وهو:

كَأَنَّمَا قَدُّهَا إِذَا انْفَتَلَتْ ... سَكْرَانُ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهَا ثَمِلُ

فقد شبَّه قامتها واعتدالها إذا تثنَّت وتمايلت بإنسانٍ سكرانَ مِنْ نَظَرِهِ إلى طَرْفِهَا، فكذلك هنا شبَّه عَجُزَها في ارتعاده واضطرابه – لكثرة لحمه – بإنسانٍ خائفٍ من فراقها، وقد استخدم (كأنَّ) دلالةً على قوة الشبه في الصورتين[٤].

٣- في هذا الشرح ردٌّ من الواحديِّ على ابن جني وابن دُوسْتَ، وليسَا وحدهما في تفسيرهما للشطر الثاني، فقد تابعهما صاحب "معجز أحمد" في أنَّ الوجِلَ هو العَجُزُ نفسه، "كأنه يخاف انفصالها عنه، فهو مُتَعَلِّقٌ بها كما يتعلَّق الرجل بذيل صاحبه إذا خاف نهوضه، كما قال الآخر:

فَقُعُودُهَا مَتْنَى إِذَا قَعَدَتْ .... وَقِيَامُهَا فَرْدًا إِذَا نَهَضَتْ[٥]".[٦]

---

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٦٣٧.

(٢) ديوانه ٤/ ٢٠٦٢.

(٣) ينظر: الفسر الكبير ٣/ ١٣٥.

(٤) نقله السبكي في (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ٢/ ٧٧).

(٥) البيت مختلف في نسبته، وهو في ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره: ص١٤٠؛ وفي: شعر عليِّ بن جبلة الْعَكَوَّكِ: ص١١٧، فصل: فيما يُنسب له ولغيره (أبي الشيص الخزاعي)، بلفظ:

فقيامها متنًى إذا نهضت ... مِنْ ثَقْلَةٍ وقعودها فَرْدُ

(٦) معجز أحمد ٢/ ١٢٦.

٤- للمهلبيِّ كلامٌ جيدٌ في هذا البيت، عرض له في موضعين من كتابه:

الموضع الأوَّلُ: في سياق الردِّ على شرح ابن جني، فذكر أنَّ عبارة ابن جني وَاهِيَةٌ قد ذَهَبَتْ مُنَّتُهَا وَتَمَاسُكُهَا، ثم ذكر أنَّ المعنى في الشطر الثاني:

"قيل فيه: إنَّ الْعَجُزَ لمَّا كان مُرْتَجًّا مُضْطَرِبًا شُبِّهَ بإنسانٍ عاشقٍ لها خائفٍ من فراقها، فهو يَضْطَرِبُ لِذَلِكَ؛ يريد ارتجاجَهُ.

والذي عندي في هذا: أنَّ الوَجِلَ الْعَجُزُ نَفْسُهُ على وجه المجاز والاستعارة. وذلك أنه لمَّا كان خصرُها خفيفًا دقيقًا نحيلًا، وعَجُزُهَا ثقيلًا نبيلًا، وهو يَجْذِبُهَا إذا أرادت القيام، فكأنه خافَ أنْ ينفصلَ منها، فَوَجِلَ لذلك، فاضطرب بارتجاجه"(١).

الموضع الآخِرُ: في سياق الردِّ على شرح الواحديِّ، يقول:

"وأقول: لم يُخْطِئْ ابنُ دُوسْتَ، وإنما قصَّر في البيان وعن الإتمام، وفي قوله إشارةٌ إلى عِظَمِ الْعَجُزِ ودِقَّةِ الْخَصْرِ، وذلك أنها إذا أرادت القيام أبطأت فيه لثقل عَجُزِهَا ودقة خَصْرِهَا، فجعل عَجُزَهَا كأنه – في إقعادها عن القيام ومَسْكِهَا – خائفٌ أن ينفصل منها ويفارقها لثقله ودقة خصرها. فإنْ جَعَلَ الارتجاجَ في الرِّدْفِ استعارةً للخوف وأمارةً عليه فهو تمامٌ لما ذَكَرَهُ، وإنْ جَعَلَهُ للخائف من فراقها، كما ذكره، ولم يُرِدْ ما ذكره ابنُ دُوسْتَ، فهو مُقَصِّرٌ كغيره مُخْطِئٌ؛ لِنَقْصِ الاستعارة. فمجموعُ قولِهِ وقولِ ابنِ دُوسْتَ كمالُ المعنى، وهو من قول الأعشى:

صِفْرُ الْوِشَاحِ وَمِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ ... إِذَا تَأَتَّى يَكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ(٢)

أي: إذا تهيَّأت للقيام يكاد خَصْرُهَا ينقطع"(٣).

---

(١) المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي، للمهلبي، ١/ ٢٣٦.

(٢) ديوانه: ص٥٥، (ت: محمد محمد حسين).

(٣) المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي، للمهلبي، ٥/ ١٠٩، ١١٠.

الموضع الرابع: قال المتنبي:

قُصِدْتَ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا ... حَتَّى اشْتَكَتْكَ الرِّكَابُ وَالسُّبُلُ(١)

قال الواحدي: "يقول: قَصَدَكَ الناس من شرق الأرض وغربها طمعًا في عطائك، وحرصًا على لقائك، حتى اشتكتك الإبلُ لكثرة ما امْتُطِيَتْ إليك، والطرقُ لكثرة ما وُطِئَتْ وَذُلِّلَتْ بِالْخِفَافِ والحوافرِ والأقدام. وقال ابن دُوسْتَ: لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين. وليس بشيء"(٢).

أقول: شكوى الرِّكاب والسُّبُل على سبيل التجوُّز، والخلافُ بين الواحديِّ وابن دُوسْتَ في بيان (وجه شكوى السبل)، الواحديُّ يقول: لكثرةِ ما وُطِئَتْ وذُلِّلَتْ بالخفافِ والحوافرِ والأقدام، وابن دُوسْتَ يقول: لِضِيقِهَا بكثرة القاصدين والسالكين إلى الممدوح، وكلا الوجهين مُحْتَمَلٌ ولا تَضِيقُ به العبارة، وقولُ الواحديِّ عن وِجْهَةِ ابنِ دُوسْتَ: "وليس بشيء" ظلمٌ.

الموضع الخامس: قال المتنبي:

تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا ... وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولَا(٣)

قال الواحدي: "يقول: تَعْرَقُ عنقُها وما حولها إذا طلبْتَ حُضْرَهَا، أي: إذا ركَّضْتَهَا. وإذا جَذَبْتَ عِنَانَهَا طاوعتْ ولانتْ عنقها حتى تظنَّ العنان محلول العقد؛ لأنها لا تُجاذبك العنان لمطاوعتها. ويجوز أنْ يكونَ هذا وصفًا بطول العنق. يعني أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال؛ لأنه على قدْر طول عنقها، فيصير العنانُ كأنه محلول. ويقول ابنُ دُوسْتَ: إنها تمدُّ عنقَها ورأسَها كيف شاءت وتَغْلِبُ فارسَها، فلا يقدر على ردِّ رأسها بالعنان، فكأنَّ عقد عنانها

---

(١) من القصيدة السابقة.

(٢) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٦٤٦.

(٣) من قصيدةٍ يذكر فيها خروجَ بَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ إلى أسد، فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسدٍ آخر، فهاجه عن بقرةٍ افترسها بعد أن شبع وثقل، فوثب إلى كفل فرسه، فأعجله عن اسْتلال سيفه، فَضَرَبَهُ بالسوط، ودَارَ بِهِ الْجَيْشَ، أَوَّلُها:

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلَا ... مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولَا

غير مشدود؛ لأنه لو كان مشدودًا لَقَدَرَ الفارس على ضبطها. وما أَبْعَدَ ما وقَّع! إذ فسَّر بضدِّ المُراد، ووَصَفَ الفرس بالجِمَاح"(١).

أقول: هذا البيت من جملة ثلاثة أبياتٍ في وصف الفرس، هي:

فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمِرَّةٍ ... يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلَا
نَيَّالَةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا ... تُعْطِي مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلَا
تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا ... وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولَا

وأبو الطيب ذكر في البيت الأول أنَّ هذه الفرس يأبى لها تَفَرُّدُهَا بالكمال أنْ يكونَ لها نَظِيرٌ، وذكر في البيت الثاني أنها تُدْرِكُ ما تطلبه بشدَّة عَدْوِهَا، وأنها عزيزة النفس لولا أنها تَذِلُّ للراكب لَمَا قدر عليها، أو أنها طويلة العنق لولا أنها تحطُّ رأسها للِّجام لَمَا نيل رأسها من طول العنق، وذكر في البيت الثالث أنَّ صَفْحَةَ عُنُقِهَا تَنْدَى بالعَرَقِ؛ أي: تُخرجه قليلًا قليلًا، "والفرس لا يُحمد لها كَثْرَةُ العرق، ولا قِلَّتُهُ؛ لأنه إذا كان كثيرًا أَضْعَفَ، وإذا قلَّ حدث عنه الْبُهْرُ"(٢).

وأما الشطر الأخير من البيت الثالث فقد اختلف في تفسيره الشُّرَّاح، وسنقتصر على ما هو متعلق بموضوع بحثنا، فقد ذكر الواحديُّ فيه معنيين، هما: لِينُ الْعُنُقِ، وَطُولُهَا، وذكر ابنُ دُوسْتَ أنَّ هذه الفرس تَغْلِبُ فَارِسَهَا فلا يقدر على ردِّ رأسها بالعِنان، وهذه الأوصاف الثلاثة (لِينُ الْعُنُقِ، وطُولُهَا، وكَثْرَةُ مُنَازَعَةِ الْعِنَانِ) ممَّا تُمدح به الخيل.

قال ابنُ قتيبة: "وَيُسْتَحَبُّ فِي الْعُنُقِ (الطُّولُ) وَ(اللِّينُ)، وَيُكْرَهُ فِيهَا (الْقِصَرُ) وَ(الْجُسْأَةُ)"(٣).

---

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٦٨٢.
(٢) الموضح في شعر أبي الطيب المتنبي للتبريزي ٤/ ٣٦٢.
(٣) أدب الكاتب، ص١١٢، باب: معرفة ما في الخيل، وما يُسْتَحَبُّ من خَلْقها. وينظر: حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص٧١.
وَالْجُسْأَةُ: يُبْسُ الْمَعْطِفِ فِي الْعُنُقِ.

كما أكثرَ الشعراءُ في الحديث عن مُنَازَعَةِ الْأَعِنَّةِ، ومن ذلك قولُ بشر بن أبي خازم[١]:

يُنَازِعْنَ الْأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... كَمَا يَتَفَارَطُ الثَّمَدَ الْحَمَامُ

وقولُ أبي فراسٍ الحَمْدَاني[٢]:

وَمِلْنَا بِالْخُيُولِ إِلَى نُمَيْرٍ ... تُجَاذِبُنَا أَعِنَّتُهَا[٣] جِذَابَا

وأرى أنَّ سياق الحديث هو في عَدْوِ هذه الفرس، فهي إذا اسْتَحْضَرَهَا صاحبُها – أي: أَعْدَاهَا – شَدَّتْ وَارْتَفَعَتْ في عَدْوِهَا، ومما يُعينها على ذلك إمالةُ رأسِها حتى يَدْنُوَ من صَدْرِهَا – والفرسُ إذا اشتدَّ عَدْوُهُ "أمال رأسه وعنقه، وهو محمودٌ في الخيل مذمومٌ في الإبل"[٤] –؛ فيتسع العِنان في يد الفارس وكأنه مَحْلُولٌ. فلعلَّ أقربَ معنًى هو المعنى الأولُ الذي ذكره الواحدي، وهو اللِّينُ والمطاوعة؛ لشدَّة عَدْوِهَا، وليس الأمر كما ذكره ثانيًا من طُولِ الْعُنُقِ، أو ما ذكره ابن دُوسْتَ من مَدِّ عُنُقِهَا ومُغالبة فارسِهَا.

الموضع السادس: قال المتنبي:

لَوْ حَمَى سَيِّدًا مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ ... لَحَمَاكَ الْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ[٥]

قال الواحدي: "يقول: لو كان سيدٌ مَحْمِيًّا من الموت لَحَمَاكَ وَحَفِظَكَ منه إجلالُ الناس إياك وإعظامُهم؛ أيْ: إنهم يَفْدُونَكَ بنفوسهم من الموت لو قُبِلَ الفداء، فكنتَ لا تموت. وقال ابنُ دُوسْتَ: لأنهم يَهَابُونَكَ فلا يُقْدِمُونَ عليك.

(١) ديوانه: ص٢١٢. والثَّمَدُ: ركايا يجتمع فيها ماء المطر.
(٢) ديوانه (شرح: د. خليل الدويهي)، ص٣٦.
(٣) وفي ديوانه (جمع وتعليق: سامي الدهَّان) ٢/ ١٥: أَعِنَّتَهَا – بالنَّصْب –.
(٤) تاج العروس، مادة (عرض).
(٥) من قصيدةٍ يَمْدَحُ بها أبا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ الْمُرِّيَّ الْخُرَاسَانِيَّ، أوَّلُها:
لَا افْتِخَارٌ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ ... مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ

وليس المعنى في إجلال الناس إياه ما ذكره؛ لأنه ليس كلُّ الموت القتلَ حتى يصحَّ ما ذَكَرَ"[١].

أقول: المعنى الذي ذكره الواحديُّ أقربُ من المعنى الذي ذكره ابنُ دُوسْتَ؛ للعلة التي ذكرها. فالناس من إجلال الممدوح (عليِّ بنِ أحمدَ المُرِّيِّ الخُرَاسَانِيِّ) يَفْدُونَهُ بِنُفُوسِهِمْ من الموت لو قَبِلَ الموتُ الفداءَ، ويجوز أن يكون المعنى: إنَّ الموت هو الذي يُجِلُّ الممدوح ويُعْظِمُهُ، فلا يَجْسُرُ عليه تهيبًا[٢]، كما قال ابن دريد[٣]:

فَأُقْسِمُ لَوْ هَابَ الرَّدَى ذَا جَلَالَةٍ ... فَلَمْ يُبْلِهِ لَارْتَدَّ عَنْكَ تَهَيُّبَا

والمعنيان كلاهما في حَيِّز (لو).

الموضع السابع: قال المتنبي:

طَالَ غِشْيَانُكَ الْكَرَائِهَ حَتَّى ... قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْحُسَامُ[٤]

قال الواحدي: "يقول: طَالَ إِتْيَانُكَ الحروبَ حتى إنَّ السيفَ يَشْهَدُ بما أَقُولُهُ بِانْفِلَالِهِ. فَجَعَلَ ذَلِكَ كالقولِ مِنَ السَّيْفِ. ولم يَعْرِفْ ابنُ دُوسْتَ المعنى فقالَ: السَّيْفُ قَالَ فِيكَ مَا أَقُولُهُ مِنَ الْمَدْحِ وَالشَّجَاعَةِ"[٥].

ولا أرى كبيرَ فرقٍ بين المعنيين، غير أنَّ الواحديَّ فسَّر البيتَ كلَّه، وابنَ دُوسْتَ فسَّر الشَّطْرَ الثانيَ منه، وماذا عساه يقول السيفُ إلاَّ الضربَ والانفلالَ! والضربُ والانفلالُ نتيجة لملازمته الحروب.

وقد قال المتنبي مِثْلَهُ في سيف الدولة:

---

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٧٤٢.

(٢) ينظر: معجز أحمد ٢/ ٢٢٦، وشرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٤/ ٢٢٠.

(٣) لم أقف عليه في ديوانه، وقد نُسِبَ إليه في: المنصف للسارق والمسروق منه، ت: عمر خليفة بن إدريس، ص٦٨٤.

(٤) من القصيدة السابقة.

(٥) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٧٤٦.

فَلَوْ قَدَرَ السِّنَانُ عَلَى لِسَانٍ ... لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ(١)

قال ابن معقل: "الأحسنُ أنْ يكونَ القولُ من السِّنَانِ، الثناءَ عليه بالإقدامِ والشَّجاعةِ كالقول الذي أقولُ من ذلك، فإنَّ السِّنَانَ مُبَاشِرٌ مُشَاهِدٌ له كما أنا مُشَاهِدٌ له"(٢). وهو قريبٌ مما قاله ابن دُوسْتَ في البيت الأول.

الموضع الثامن: قال المتنبي:

وَكَفَتْكَ الصَّفَائِحُ النَّاسَ حَتَّى ... قَدْ كَفَتْكَ الصَّفَائِحَ الْأَقْلَامُ(٣)

قال الواحدي: "قال ابن جني: أي استغنيتَ بسيوفك عن نصرة الناس لك. وليس المعنى على ما ذَكَرَ. يقول: هاب الناسُ سيوفَكَ فكفُّوا عنك ولم تَحْتَجْ إلى قتالهم ثم صِرْتَ إلى أن كَفَتْكَ الأقلامُ السيوفَ لِمَا استقرَّ لك من الهيبة في القلوب. وقال ابنُ دُوسْتَ: كَفَتْكَ سُيُوفُكَ الناسَ من العساكر وغيرها حتى استغنيتَ عنهم ولم تَحْتَجْ إليهم. وهذا أيضًا ضعيفٌ؛ لأنَّ السيوفَ تحتاج إلى مَنْ يَحْمِلُهَا ليحصلَ له الهيبة، وهي بمجردها لا تكفيه الناس. والمعنى ما ذَكَرْنَا، ومن روى (البأس) أراد كَفَتْكَ سيوفُك الحربَ، فتكونُ هذه الروايةُ تأكيدًا للمعنى الذي ذَكَرْنَا"(٤).

أقول:

أوَّلًا- الصَّفائح: السيوف العِرَاض. وقد اختار أبو الطيب "الصفائحَ دون غيرها من أسماء السيوف، نحو: القواضب والبواتر والقواطع؛ لأنه أراد أنْ يَجِيءَ بِضِدِّ الأقلام، إذ كانت لا عَرْضَ لها، وإنما هي دِقَاقٌ"(٥).

(١) ديوان المتنبي بتصحيح عبد الوهاب عزام، ص٢٥٣.
(٢) المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي، للمهلبي، ٤/ ٤٥.
(٣) من القصيدة نفسها.
(٤) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٧٤٦.
(٥) اللامع العزيزي لأبي العلاء المعري، ج٣/ ١٢٢٣.

ثانيًا- لم يُورِدْ الواحديُّ كلامَ ابنِ جِنِّي كلَّه، وهو بهذه الصورة يُوهِمُ أنَّ كلام ابن جني عن استغناء الممدوح بسيوفه فقط عن نُصرة الناس له، وأنَّ كلام الواحديِّ إنما هو عن الهيبة إلى جانب السيوف، وتمامُ كلام ابن جني على النحو الآتي: "أي: استغنيتَ بسيوفك عن نُصْرَةِ الناس لك، ثم استغنيتَ بأقلامك عن سيوفك؛ لِمَا استقرَّ لك في نفوس الناس، فلستَ تحتاج معهم إلى السيوف"(١). والمتأمِّل يجد أنَّ كلامه عن السيوف والهيبة معًا، فما الذي يستقرُّ في نفوس الناس غير الْهَيْبَةِ! وعليه؛ فكلام الواحدي هو معنى كلام ابن جني مع بعض ألفاظه.

ثالثًا- كلامُ ابنِ دُوسْتَ هو عين كلام ابن جني.

رابعًا- اعتراضُ الواحدي على ابن جني – وعلى ابن دُوسْتَ معه – بأنَّ السيوف تحتاج إلى مَنْ يحملها لتحصلَ الهيبة = كان بسبب عدم إيراد كلامِهِ كلِّه، ولو سَلَّمْنَا بأنَّ الكلام كما نقله الواحدي، فيمكن أنْ يُجَابَ عنه بما ذكره ابن معقل: "فيقال له: هو يَحْمِلُهَا وَحْدَهُ، كالأقلام، ولا يلزم أنْ يحملَها جميعَها في مرةٍ واحدة؛ بل يحملها على البدل!"(٢).

الموضع التاسع: قال المتنبي:

وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ ... بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْغَمَامَا(٣)

قال الواحدي: "هذا يحتمل معنيين: أَحَدُهُمَا: أنَّ المسافر إذا كَثُرَ عليه المطرُ مَلَّ مُقَامَهُ، وَاحْتِبَاسَهُ لأجل المطر، كذلك نحن؛ عطاياك تأتينا، وأنت قَيَّدْتَنَا بإحسانك، وأنا مسافرٌ أريد الارتحال. ولولا أَنِّي على سفرٍ لم أَمْلَلْ نِعْمَتَكَ. والمطرُ يسأله كلُّ أحدٍ إلا المسافرَ. والآخَرُ: أنَّ المسافر إذا كثرت

(١) الفَسْر (شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي)، مج ٣، ص٥٣٨.
(٢) المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي، للمهلبي، ٥/ ١٢٣.
(٣) سأذكر مناسبته في أثناء التعليق على البيت.

الأمطارُ بالأرض التي فيها وطنه، اشتاق إلى وطنه وَكَرِهَ الْمُقَامَ بأرض السَّفر، كذلك نحن؛ قد أحسنتَ إلينا كلَّ الإحسان، فنحن نشتاق أن نأتيَ الوطنَ ونُسْرِعَ الارتحال. والأولُ أظهر. وهذا الوجه الثاني ذكره ابنُ دُوسْتَ، وليس بظاهر"[(١)].

وأرى أنَّ الخلاف بين المعنيين راجعٌ إلى اختلافهم في تفسير قوله: "بِأَرْضِ مُسَافِرٍ"؛ فعلى الرأي الأول المرادُ بها الأرض التي يقيم فيها المسافر الآن، وعلى الرأي الثاني المرادُ بها أرضُهُ التي بها وُلِدَ وعليها نَشَأَ، وهذا البيت من جملة أبياتٍ أربعةٍ قالها المتنبي حين اجتاز ببعلبكَّ فخلع عليه عليُّ بن عسكر، وسأله أن يقيم عنده. وكان المتنبي يريد السفر إلى أَنْطَاكِيَةَ، فقال يستأذنه:

رَوِينَا يَابْنَ عَسْكَرٍ الْهُمَامَا ... وَلَمْ يَتْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُيَامَا
وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا ... لِغَيْرِ قِلًى وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَا
وَلَمْ نَمْلَلْ تَفَقُّدَكَ الْمَوَالِي ... وَلَمْ نَذْمُمْ أَيَادِيَكَ الْجِسَامَا
وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ ... بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْغَمَامَا

ففي كلِّ بيتٍ من هذه الأبيات ذكرٌ لجود ابن عسكرٍ وهداياه وعطاياه، فالغيوث غيوثه هو، كما أنَّ المتنبي كان يريد السفر إلى أَنْطَاكِيَةَ، وليس إلى الكوفةِ مَوْطِنِهِ، فلا وَجْهَ للحديث عن اشتياقِ المتنبي لوطنه هنا وَرَغْبَتِهِ في الارتحال إليه. والمعنى الأولُ هو الأظهر، كما ذكر الواحدي.

الموضع العاشر: قال المتنبي:

لَئِنْ كَانَ أَحْسَنَ فِي وَصْفِهَا ... لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فِي الْوَصْفِ لَكْ[(٢)]

---

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٩٩٥.

(٢) هذا البيت هو أولُ مقطوعةٍ له عِدَّتُهَا خمسةُ أبياتٍ قالها حين دخل على أبي العشائر وعنده إنسانٌ يُنْشِدُهُ شعرًا وصف بِرْكَةً له، ولم يَذْكُرْهُ في ذلك الشِّعر.

قال الواحدي: "يقول: إنْ أَحْسَنَ في وَصْفِ الْبِرْكَةِ، فَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ في وَصْفِهِ إياك؛ لأنه لم يَصِفْكَ، ولم يَمْدَحْكَ، ثم ذَكَرَ أنه إِنَّمَا عَابَهُ بِتَرْكِ الْحُسْنِ فِي وَصْفِهِ لقوله:

لِأَنَّكَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبِحَارَ ... لَتَأْنَفُ مِنْ حَالِ هَذِي الْبِرَكْ

يقول: كانَ وَصْفُهُ لَكَ أَوْلَى من وصف الْبِرْكَةِ لأنك بَحْرٌ، والبحارُ تأنفُ من الْبِرَكِ لِاسْتِصْغَارِهَا إِيَّاهَا. والذي سَمِعْتُهُ في معنى الْبَيْتَيْنِ أَنَّ ذلك الشاعرَ كان قد شبَّه الْبِرْكَةَ بأبي العشائر، فقال أبو الطَّيِّبِ: إنه قد تَرَكَ الْحُسْنَ في وَصْفِكَ، حيث شَبَّهَهَا بِكَ، وأنت بَحْرٌ، والْبَحْرُ فوق الْبِرْكَةِ بكثير. وهذا هو القول. والأَوَّلُ ذكره ابنُ دُوسْتَ"(١).

أقول: ذَكَرَ الواحديُّ معنيين في هذين البيتين، واختار الثانيَ، وذكر أَنَّ الْأَوَّلَ هو قولُ ابنِ دُوسْتَ، وذكرهما صاحب (التبيان في شرح الديوان)(٢) أيضًا، وجَمَعَ بينهما صاحبُ "معجز أحمد"، فقال: "يقول: أنتَ بَحْرٌ، والبحارُ تَأْنَفُ من ماء هذه الْبِرْكَةِ. وهذا الوصفُ الذي وَصَفَهُ، وهذه الأوصافُ، دون الأوصافِ التي أنتَ عليها"(٣).

والمعنى الأَوَّلُ على أَنَّ الشاعرَ الذي وصف بِرْكَةً في دار أبي العشائر تَرَكَ الْأَوْلَى حين وَصَفَهَا هي ولم يَصِفْهُ، والمعنى الثاني على أَنَّ هذا الشاعر أخطأ حين شبَّه الْبِرْكَةَ بأبي العشائر في تَدَفُّقِهَا وَفَيْضِهَا؛ فهو بحرٌ، والبحارُ لا تُشَبَّهُ بِالْبِرَكِ.

والمعنى الثاني – الذي اختاره الواحديُّ – هو الصحيح؛ لأَنَّ الشاعر وَصَفَ بِرْكَةً في دار أبي العشائر، وهو لم يَتْرُكْ الْأَوْلَى، ولم يكن عليه أَنْ يُهْمِلَ وَصْفَهَا أو يَتَجَاوَزَهَا لِيَصِفَ أَبَا الْعَشَائِرِ؛ فَوَصْفُ الْبِرْكَةِ كان مشهورًا في

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ١٠٣٢.
(٢) التبيان في شرح الديوان ٢/ ٣٨٤، ٣٨٥.
(٣) معجز أحمد ٢/ ٥١٧.

العصر العباسيِّ، وقد فعله البحتريُّ (ت ٢٨٤هـ) وأبو الفرج الببغاءُ (ت ٣٩٨هـ) وأبو الفضل الميكاليُّ (ت ٤٣٦هـ) وغيرهم من شعراء المشرق والأندلس. غير أنَّ هذا الشاعر أخطأ حين شبَّه الْبِرْكَةَ بأبي العشائر؛ للعلة التي ذَكَرْتُ.

المبحث الثالث
موقف الواحديِّ من روايات ابن دُوسْتَ

وذلك في موضعين:

الموضع الأول: قال المتنبي:

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ ... فَمَا تُعْطِ مِنْهُ نَجِدْهُ جُدُودَا(١)

قال الواحديُّ: "يقول: إذا وصلتَ أحدًا ببرٍّ سَعِدَ بِبِرِّكَ، وتشرَّف بعطيتك، فصارت جَدًّا له. ويجوز أن يكون المعنى: إنَّ القضاء نحسٌ وسعدٌ، ونوالك سعدٌ كله، فهو أحد شِقَّيْ القضاء. وروى ابن دُوسْتَ: فما تُعْطَ منه (بفتح الطاء)، وتَجِدْهُ (بالتاء) على المخاطبة. وقال في تفسيره: كأنَّ عطاءك للناس قضاءٌ يقضي الله بذلك. وما أعطاك منه، فهو عندك بمنزلة بَخْتٍ تُعْطَاهُ وتُرْزَقُهُ. وهذا تفسيرٌ باطلٌ وروايةٌ باطلةٌ، وهو من كلام من لم يقرأ هذا الديوان"(٢).

أقول: فأمَّا المعنى فكما ذكر الواحدي(٣).

وأمَّا الروايةُ التي ذكرها ابنُ دُوسْتَ فلم أَقِفْ على أحدٍ غيرِهِ ذَكَرَهَا، وعليه يجب التوقُّف عند الرواية الثابتة، لا سيما أنه ورد في ترجمة ابن دُوسْتَ أنه "كان أصمَّ لا يسمع شيئًا"(٤)، و"أصمَّ أصلخَ، يَضَعُ الْكِتَابَ في حِجْرِهِ وَيُؤَدِّيهِ

(١) من قصيدةٍ يمدح فيها بدرَ بنَ عمَّارٍ الأسديَّ الطبرستانيَّ، وهو يومئذٍ يتولَّى حرب طبريَّة من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨هـ، وأوَّلُها:

أَحُلْمًا نَرَى أَمْ زَمَانًا جَدِيدَا ... أَمِ الْخَلْقُ فِي شَخْصِ حَيٍّ أُعِيدَا

(٢) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٢/ ٦٢٩.

(٣) ينظر: المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي للمهلبي ١/ ٦٩.

(٤) تاريخ الإسلام ٩/ ٥٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥١٠.

بِلَفْظِهِ، فَيُسْمِعُ ولا يَسْمَعُ"(١)، و"أطروشًا لا يَسْمَعُ شيئًا، وكان يَقْرَأُ على الحاضرين مَجْلِسَهُ بِنَفْسِهِ"(٢).

الموضع الثاني: قال المتنبي:

وَكَيْفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ ... وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِهَا مُشْبِلُ(٣)

قال الواحدي: "يقول: كيف تَقَعُ دون غايةٍ تطلبها، وَأُمُّكَ مُشْبِلٌ بِكَ من أبيك الذي هو لَيْثٌ. يعني: وَلَدَتْ بِكَ شِبْلًا فَهِيَ مُشْبِلٌ. ومن روى "مَنْ لَيْثُهَا"، فـ "مَنْ" عبارة عن الأم، وهو خبر الابتداء، وما بعده صلة له. وَالْمُشْبِلُ على هذا هو الليثُ وهو الأب. وروى ابنُ دُوسْتَ: "عَنْ غَابَةِ" – بالباء –. وهو تصحيفٌ، ولا يقال: قَصَّرَ عَنِ الْغَابَةِ؛ إنما يقال: قَصَّرَ عَنِ الْغَايَةِ: إذا لم يَبْلُغْهَا"(٤).

أقول: الرواية مقصورةٌ على السماع، فإنْ صحَّ سماعُ ابنِ دُوسْتَ صحَّ نقلُ الرواية عنه، ولن يكونَ المعنى بعيدًا؛ فالغابة: هي "الْأَجَمَةُ التي طالت ولها أطرافٌ مرتفعةٌ باسقةٌ. يقال: ليثُ غَابَةٍ"(٥). وسيكون في البيت مراعاةُ نظير بين الغابة والليث، وهو أمرٌ اشتهر به أبو الطيب. والمعنى على هذه الرواية: يُخاطب سيفَ الدولةِ فيقول: وكيف تُقَصِّرُ عن حماية الغابة – يريد

(١) دُمية القصر وعُصرة أهل العصر ٢/ ٩٧١.

(٢) فوات الوفيات ٢/ ٢٩٧، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٥٢، وبغية الوعاة ٢/ ٨٩، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول ٤/ ٥٠.

(٣) من قصيدةٍ يمدح بها سيفَ الدولة ويذكر الخيمة التي رَمَتْهَا الرِّيح، وكان قد ضَرَبَ سيفُ الدولة خيمةً عظيمةً بِمَيَّافَارِقِينَ وأشاع الناسُ أنَّ مقامَهُ يَتَّصِلُ بها، فَهَبَّتْ ريحٌ شديدةٌ، فوقعت الخيمةُ، فتكلَّم الناسُ في ذلك، أوَّلُها:

أَيَقْدَحُ فِي الْخَيْمَةِ الْعُذَّلُ ... وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ

(٤) شرح الواحدي لديوان المتنبي ٣/ ١٢٤٧.

(٥) لسان العرب، وتاج العروس: مادة (غيب).

دولة الخلافة – وأنت ليثٌ، ابنُ ليثٍ، ابنُ لَبُؤَةٍ. ويؤيِّد ذلك قولُ المتنبي قبل هذا البيت ببيتين:

لَقَدْ رَفَعَ اللهُ مِنْ دَوْلَةٍ ... لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفَهَا مُنْصُلُ

وهذا كلُّه إنْ صَحَّتْ الرواية.

أمَّا بعدُ،

فهذه هي المواضعُ الستةَ عشرَ التي وقفتُ عليها من تفسير ابن دُوسْتَ لشعر المتنبي، فهي بقيَّةٌ من شرح مفقودٍ لأحد شُرَّاح ديوان المتنبي، وهي وإنْ لم تُعْطِنَا صورةً كاملةً عن شرح الرجل ومذهبه، فهي تدلُّ على معانٍ جديدةٍ وروايات تُضاف إلى ما قيل في شرح شعر المتنبي، وما نقله الواحديُّ وما عقَّبَ به على آراء ابن دُوسْتَ لا يقدح في عمل الرجل، ولا ينبغي أنْ يَطْرَحَ صورةً سلبيَّةً عنه؛ فقد رأينا الواحديَّ يكتفي بما يُوَجِّهُ إليه من سهام النقد، ولم يكن من همِّه أن يذكرَ له مواضعَ يُوَافِقُهُ فيها، أو أن يُقَدِّمَ له صورةً إيجابيَّةً، ومن الوارد أن يكون الواحديُّ اجتزأ كلامه في بعض المواضع كما اجتزأ كلامَ ابنِ جني، أو يُعْرِضَ عن شيء منه كما صرَّح الواحديُّ بنفسه.

الخاتمة

الحمد لله حمدًا يُوافي نِعَمَهُ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف خلقه، وخاتم رسله، نبينا محمد ﷺ، وبعد:

ففي نهاية هذا البحث المُسَمَّى **(موقفُ الواحديِّ (ت ٤٦٨هـ) من تفسيرِ ابنِ دُوسْتَ (ت ٤٣١هـ) شعرَ المتنبِّي – دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ)** يمكن لنا أنْ نَصِلَ إلى عددٍ من النتائج، وهي:

١. يعدُّ شرحُ الواحديِّ المصدرَ الوحيدَ لتفسير ابن دُوسْتَ شعرَ المتنبي، وعنه نقل صاحبُ (التبيان في شرح الديوان).
٢. جمع الباحث ستةَ عشرَ موضعًا هي جملة ما وقفتُ عليه من آراء لابن دُوسْتَ.
٣. ليس ما ذكره الواحديُّ هو كلَّ آراء ابن دُوسْتَ، وإنما كان الواحديُّ يُعرض عن كثير من كلامه، كما قال: "وكثيرًا ما يُخطئ في هذا الديوان. وليس يمكن عدُّ هفواته؛ لِكَثْرَتِهَا، وَقِلَّةِ الفائدة في ذكرها"، فيُفهم من هذا النصِّ أنَّ الواحديَّ سكت عن كثير من كلامه؛ لكثرة خطئه – من وجهة نظره –.
٤. يبدو لي أنَّ لابن دُوسْتَ موقفَيْنِ من شعر المتنبي، الأولُ: ما أصاب فيه أو وافق شُرَّاحَ شعرِ المتنبي، وهذا القسم سكت عنه الواحديُّ، والآخِرُ: ما أخطأ وغلط فيه، وهو على صورتين: الأولى: ما نقله الواحدي ونقده – وهو الذي ورد في هذا البحث –، والأخرى: ما غلط فيه ابن دُوسْتَ وأعرض الواحديُّ عن ذكره، وهو الذي أشار إليه الواحدي في أثناء شرح بيت المتنبي:

طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وِدَادِهِمْ ... وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ

بقوله: "ولم يَعْرِفْ ابن دُوسْتَ هذا البيت ألبتة، وكثيرًا من أبيات هذا الديوان"(١).

وممَّا يدلُّ على أنَّ قول الواحديِّ: "ولم يَعْرِفْ ابن دُوسْتَ هذا البيت ..." لا يعني سكوتَ ابن دُوسْتَ – أنَّ الواحديَّ قال في موضعين: "ولم يعرف ابنُ دُوسْتَ البيت فقال ..."، فعدم المعرفة هنا تعني الغلط.

٥. يظهر من المواضع التي نقلها الواحديُّ شدةُ حَمْلِهِ على ابن دُوسْتَ في بعض المواضع، حيث وصف آراءه بأوصافٍ شديدةٍ من نحو قوله: "وهذا كَذِبٌ صريحٌ"، وقوله: "وهذا تفسيرٌ باطلٌ وروايةٌ باطلةٌ، وهو من كلام من لم يقرأ هذا الديوان"، وقوله: "وغَلِطَ في هذا البيت مع وضوحه غلطةً فاحشةً، وكنتُ أَرْبَأُ به عن مثل هذا الغلط مع تصدُّره في هذا الشأن، ونعوذ بالله من الفضيحة". في حين نرى تلطُّفه معه يظهر في عباراته: "والقول هو الأول"، وقوله: "وما أَبْعَدَ ما وقَّع! إذ فسَّر بضدِّ المُراد"، وقوله: "وهذا الوجه الثاني ذكره ابنُ دُوسْتَ، وليس بظاهر"، وقوله: "وهذا هو القول. والأوَّلُ ذكره ابنُ دُوسْتَ".

٦. أرى أنَّ غلظة الواحديِّ مع أستاذه ابن دُوسْتَ ترجع إلى أمرين: **أولهما:** شدة طبعه، كما وصفه تلميذه عبد الغافر بن إسماعيل بقوله: "وكان حقيقًا بكلِّ احترامٍ وإعظام، لولا ما كان فيه من غَمْزِهِ وإزرائِهِ على الأئمَّة المتقدمين، وبَسْطِهِ اللسانَ فيهم بغير ما يليقُ بمناصبهم، عفا الله عنَّا وعنه"، **وثانيهما:** تأثُّره بشيخه أبي الفضل العروضيِّ في نقده لابن جني، على غرار ما قال العروضيُّ: "يَظْلِمُ

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ١/ ٤٠٣.

نَفْسَهُ وَيَغُرُّ غَيْرَهُ مَنْ فَسَّرَ شِعْرَ المتنبي بهذا النظر"[١]، وقوله: "هذا كلامُ مَنْ لم يَنْظُرْ في معاني الشعر ولم يَرْوِ الكثير منه، وكنت أَرْبَأُ بأبي الفتح عن مِثْلِ هذا القول"[٢]، وقوله: "نَعُوذُ باللهِ من الْخَطَلِ"[٣]، وقوله: "هذا تَفْسِيرُ مَنْ لم يَخْطُرْ البيتُ بِبَالِهِ"[٤]، وقوله: "هذا كلامُ من لم يَنْتَبِهْ بعدُ من نوم الغفلة"[٥]. وليس ابن دُوسْتَ هو الوحيدَ الذي فعل معه الواحديُّ ذلك، فقد نال ابن جني وابن فُورَّجَةَ نصيبهما من الاستطالة، حيث قال في الأول: "وهذا هذيانُ الْمُبَرْسَمِ والنَّائم، وكلامُ من لم يَعْرف المعنى"[٦]، "والذي قاله أبو الفتح هَوَسٌ"[٧]، والهَوَسُ: طَرَفٌ من الْجُنُون، و"تَهَوَّسَ ابنُ جني في هذا البيت وأتى بكلامٍ كثير لا فائدةَ فيه"[٨]، وقال في الثاني: "وتَهَوَّسَ ابن فُورَّجَةَ في هذا البيت ... وهذا الذي قاله باطلٌ مُحَالٌ لا يقوله غيرُ جاهل"[٩].

٧. أصاب الواحديُّ في كثير من نقده لآراء ابن دُوسْتَ، غير أنَّ هناك مواضعَ كان الصوابُ فيها قريبًا من ابن دُوسْتَ، ومواضعَ أخرى كان المعنى يحتملُ كلامَ الرجلين.

---

(١) شرح الواحدي لديوان المتنبي ١/ ٤٠٢.
(٢) السابق ٢/ ١٠٤٨.
(٣) نفسه ٣/ ١٦٢٠.
(٤) نفسه ٤/ ١٩٥٢.
(٥) نفسه ٤/ ١٩٩٣.
(٦) نفسه ١/ ٤٣٣.
(٧) نفسه ٣/ ١٣٥٣.
(٨) نفسه ٢/ ٩٩٧.
(٩) نفسه ٣/ ١٤٨١.

وفي الختام، أرجو أن أكون عرضتُ لصورة شارح من شُرَّاح ديوان المتنبي أَدْرَكَ زمانَ مَنْ سمعَ شعرَ المتنبي ورَوَاهُ وعَرَفَ مقصده، وهو بابٌ يمكن أنْ نَلِجَ منه لنفتِّشَ عن بقايا آرائه، وعن آراء غيره ممن فَقَدْنَا كتبهم وشروحهم.

ولا أزعم أنَّ ما دَوَّنْتُهُ أو رَصَدْتُهُ أو عَرَضْتُ له من نظراتٍ وتعقيباتٍ، سالمٌ من نقصٍ، خالٍ من قصور؛ لأنَّ النقصانَ منوطٌ بالإنسان، ولكنْ أرجو أنْ أُوَافِقَ الصواب في جميع ما ضمنت، والشيء إذا سَلِمَ جُلُّه فقد حَسُنَ كلُّه.

اللهمَّ اجعلْ هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، وعلِّمني ما جهلتُ، وانفعني بما علمتُ، إنك خيرُ مسئول وأكرمُ مأمول.

وَصَلِّ اللهمَّ وَسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المخطوطات:

- الجزء الأول من شرح ديوان المتنبي للواحدي، مخطوط بجامعة برنستون بولاية نيوجيرسي بالولايات المتحدة، دون بيانات.
- شرح ديوان المتنبي للواحدي، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، الرقم العام (٣٦٩٧).

ثانيًا- الكتب:

- إتحاف المرتقي بتراجم شيوخ البيهقي لمحمود بن عبد الفتاح النحال، إشراف ومراجعة وضبط وتدقيق: الفريق العلمي لمشروع موسوعة جامع السنة، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- أساس البلاغة للزمخشريّ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- أسباب نزول القرآن للواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة لأبي الحسن القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافيَّة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- بُغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- تاج التراجم لابن قطلوبغا السودوني، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- التبيان في شرح الديوان المنسوب لأبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح: مصطفى السقا وآخرَيْن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
- التفسير البسيط للواحدي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٥١م.
- دُمية القصر وعُصرة أهل العصر لعليِّ بن الحسن الباخرزي، تحقيق ودراسة: د. محمد ألتونجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ديوان البحتريِّ، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم – دمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
- ديوان حاتم الطائي، دار صادر – بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، صنعة: عبد الله الجبوري، المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، تصحيح: د. عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ديوان أبي فراس الحمداني، جمع ونشر وتعليق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربيَّة، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م.
- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: د. خليل الدويهي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت – لبنان، حلب – سورية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للخوانساري الأصبهاني، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان، طهران، ١٣٩٢هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة – بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- السلسبيل النقي في تراجم شيوخ البيهقي لنايف بن صلاح بن علي المنصوري، قَدَّم له: الأستاذ الدكتور/ أحمد معبد عبد الكريم، دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- سُلَّم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلاميَّة – إستانبول، ٢٠١٠م.
- سمط اللآلي لأبي عبيد البكريّ، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- شرح الواحدي لديوان المتنبي، تقديم وتعليق: د. ياسين الأيوبي، د. قصي الحسين، دار الرائد العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري، تحقيق: عبد العزيز أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
- شعب الإيمان لأبي بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- شعر عليّ بن جبلة الْعَكَّكِ، تحقيق: د. حسين عطوان، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

- شعر عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ، جمعه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي، تحقيق: مصطفى السقا وآخرَيْن، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
- طبقات الشافعيَّة لابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعيَّة الكبرى لتاج الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- طبقات المفسرين العشرين للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- الفسر = شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، حقَّقه وقدَّم له: د. رضا رجب، دار الينابيع – دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبيّ، قراءة وتعليق: خالد فهمي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

- القاموس المحيط للفيروزآبادي، أشرف على تحقيقه: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- كتاب الزهد الكبير لأبي بكر البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافيَّة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م.
- اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي للمهلبي، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى.
- المخصص لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعي، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلميَّة – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- معجز أحمد المنسوب لأبي العلاء المعري، تحقيق ودراسة: د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور لإبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- المنتخب من غريب كلام العرب لِكُرَاع النمل، تحقيق: د. محمد بن أحمد العمري، معهد البحوث العلميَّة وإحياء التراث الإسلامي – مكة المكرَّمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- المنصف للسارق والمسروق منه لابن وكيع، تحقيق: عمر خليفة بن إدريس، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي للتبريزي، دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة – بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب – مصر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
- النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام لابن المستوفي، دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة – بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

- النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب لابن بطال الركبي، دراسة وتحقيق: د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجاريَّة – مكة المكرَّمة، ١٩٨٨م.
- الواحدي ومنهجه في التفسير للدكتور جودة محمد محمد المهدي، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.
- الوافي بالوفيات للصفدي، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ه/ ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م.

ثالثًا– المجلات:

- التبيان لا للعكبري ولا لابن عدلان لعبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الهليل، مجلة الدراسات اللغويَّة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، المجلد الثالث، العدد الثاني، ربيع الآخر – جمادى الآخرة ١٤٢٢ه/ يوليو – سبتمبر ٢٠٠١م.
- شرح المشكل من شعر المتنبي لابن القطاع الصقلي، مجلة المورد، دار الحرية للطباعة – بغداد، المجلد السادس، العدد الثالث، ١٣٩٧ه – ١٩٧٧م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٦٥٤٥
التمهيد:	٦٥٤٨
أولًا- ترجمة ابن دُوسْتَ	٦٥٤٨
ثانيًا- ترجمة الواحديِّ	٦٥٥٣
ثالثًا- علاقة الواحديِّ (ت ٤٦٨هـ) بابن دُوسْتَ (ت ٤٣١هـ)	٦٥٦٠
المبحث الأول: موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ اللغويِّ.	٦٥٦٢
الموضع الأول	٦٥٦٢
الموضع الثاني	٦٥٦٣
الموضع الثالث	٦٥٦٦
الموضع الرابع	٦٥٦٨
المبحث الثاني: موقف الواحديِّ من تفسير ابن دُوسْتَ للمعاني.	٦٥٧١
الموضع الأول	٦٥٧١
الموضع الثاني	٦٥٧٣
الموضع الثالث	٦٥٧٦
الموضع الرابع	٦٥٨٠
الموضع الخامس	٦٥٨٠
الموضع السادس	٦٥٨٢
الموضع السابع	٦٥٨٣
الموضع الثامن	٦٥٨٤

الموضع التاسع	٦٥٨٥
الموضع العاشر	٦٥٨٦
المبحث الثالث: موقف الواحديِّ من روايات ابن دُوسْتَ.	٦٥٨٩
الموضع الأول	٦٥٨٩
الموضع الثاني	٦٥٩٠
الخاتمة	٦٥٩٢
قائمة المصادر والمراجع	٦٥٩٦
فهرس الموضوعات	٦٦٠٤